



من توفي من العلماء وهو ساجد

مع دراسة علمية عن حسن الخاتمة وسوئها ومراتبهما وأسبابهما

تأليف

د. محمد إبراهيم سعيد الفارسي

إدارة البحوث

من توفي من العلماء وهو ساجد

مع دراسة علمية عن حسن الخاتمة وسوئها ومراتبهما وأسبابهما

التدقيق اللغوي

شروق محمد سلمان

إخراج

محيي الدين حسين يوسف

الطَّبعَةُ الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥ م

ISBN 978-9948-02-190-2

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+

الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي

mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae



دائـــــرة الشـــــؤون الإســـــلامية والعمـــــل الخيـــــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department



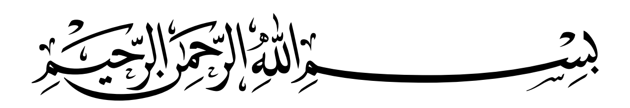
من توفي من العلماء وهو ساجد

مع دراسة علمية عن حسن الخاتمة وسوئها ومراتبهما وأسبابهما

تأليف

د. محمد إبراهيم سعيد الفارسي

كبير باحثين أول بإدارة البحوث





افتتاحيـة

الحمــد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّــلام على ســيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وبعـــد: فيسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارها الجديد: « **من توفي من العلماء وهو ســاجد مع دراسة علمية عن حســن الخاتمة وسوئها ومراتبهما وأســبابهما** »، لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفـة.

وهو كتاب يحوي تراجم ثلة من العلماء - رجالاً ونســاءً - ممن توفي وهو ساجد، وسيجد فيه القارئ الكريم سيرةً حســنة للاعتبار والاقتداء، وشحذ همةٍ على الاستقامة والطاعة، وتشويقاً للفضائل وجميل الشمائل.

فهــو مادة علمية للدعــاة والوعاظ ترفدهم وتقدم لهــم عوناً وجنداً من القصص والأحكام، وهــو للمعلمين والآباء والأمهات ذراعٌ ويدٌ، من خلاله يقدمــون لتلاميذهــم وأبنائهم قدواتٍ صالحــةً تحثُّ على التخلّــق بالمحامد والفضائل والمروءات.

ويتقدم الكتابَ دراسـةٌ علمية عن حسن الخاتمة وسوئها، حوت مهمات المسائل المتعلقة بهذا الموضوع.

والسـجود عبادة كريمة عند الله، لدلالتها على الإيـمان وكمال الخضوع والذلِّ بين يديه سـبحانه وتعالى ؛ ولذا لم يُغفِلِ الكتابُ بيان فضيلة هذه العبادة من القرآن والسنة.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقـدم عظيم الشكر والدعاء لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها **صاحب السـمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي ما فتئ يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه.

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطـاء على درب التميز المنشـود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى الله على النَّبيِّ الأميِّ الخاتم سيدنا محمَّـد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدارة البحوث


بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدّمَة

الحمـــد لله رب العالمـــين، والصلاة والســـلام على ســـيِّدنا محمد أشرف المرسلين، وقدوة العابدين، وإمام الساجدين التوابين، وأقربِ العبادِ وأحبِّهم إلى ربِّ العالمـــين، صـــلى الله عليه وعلى آله الميامين، وصحبـــه الهُداة المهديين، وأتباعهم إلى يوم جزاء المحسنين.

وبعد، فهذا موضوعٌ لطيفٌ، وجزء ظريـــفٌ، جمعتُ فيه تراجمَ عدد من العلـــماء الفضلاء وأخبارَهم، ممـــن فتح الله لهم أبوابَ فضلِـــه ورحمتِه، فختم أعمالهم في الدنيا بالســـجود بين يديه، فكان إشارةً وأمارةً على حسن الظن بهم أنهم من المقربين ومن ذوي الزلفى لديه، وفي الحديث: « **أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء** »[1]، وفي الحديث الآخر: « **يُبعثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه** »[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٧٨) من حديث جابر رضي الله تعالى عنه.

أهمية الموضوع وحاجة البحث فيه:

وسـيرى القارئُ الكريم في تراجم هؤلاء الثلة من العلماء ممن توفي وهو ساجدٌ: سيرةً حسنةً لمن أراد الاعتبار والاقتداء، وشحذَ همةٍ على الاستقامة على طاعة الله تعالى، وعلى حُسنِ الخلق، وإتقانِ العمل، وعبادةِ الله، وفعلِ الخيرات.

كما سيقف القارئُ الكريمُ على نماذج من فضل الله تعالى على أناس قضوا زمنًا من أعمارهم في غير طاعة الله تعالى، فتدارَكهم اللهُ بفضله، واستقاموا على أمره، وتفقهوا في دينه، ورُزقوا حُسنَ الختام.

وفي المذكورين مِن الساجدين مَن كان قاضياً، ومنهم من كان مفسرًا، أو قارئاً، أو محدّثاً، أو فقيهًا، أو زاهدًا، أو أديباً، وفيهم من ضمَّ إلى علم الشريعة علومًا وتخصصاتٍ أخرى نافعة.

ومنهم من كان في قومه ومجتمعه مبجَّلاً لامعاً، ومنهم من كان غريباً، أو عبدًا، أو غنيًّا أو فقيرًا، وفيهم النساء بجانب الرجال، يُزاحِمْنَهم في العلم والفضائل والتربية.

فهذا الكتاب - إن شاء الله تعالى - يكون نافعًا لمن أراد الاقتداء بالأتقياء، ومُشَوِّقًا للفضائل وجميل الشمائل، ومادةً علميّةً للدعاة والوعاظ ترفدهم وتقدمُ لهم عونًا وجُندًا من القَصص والأحكام، وللمعلمين والآباء والأمهات ذراعًا ويدا، من خلاله يقدمون لتلاميذهم وأبنائهم قدوات صالحات، لتنطبع

في نفوس الأجيال وقلوبهم صورًا طيبة زاكية نقية، تتحول إلى أخلاق وسجايا عميقة في القلوب، وأعمال صالحة على الجوارح.

الدراسات السابقة أو المشابهة:

هذا، ولم أقف على من دوّن في هـــذا الموضوع كتابًا خاصًّا، على أن علماءنا رحمهم الله تعالى قد صنَّفوا بعضَ المصنفات في موضوعات شـــبيهة، جمعوا فيها عددًا من العلماء الذين تجمعهم صفة معينة، أو مذهب فقهي، أو وظيفة، أو بلدٌ، أو طبقة زمنيّةٌ، وغيرها، وترجموا لهم، وقدّموا دراسةً مختصرةً بين يدي مصنفاتهم في التعريف بتلك الصفةِ الجامعةِ لهم، وذِكر بعض الأحكام المتعلقة بها.

من هذه المصنفـــات: كتبُ طبقات الفقهـــاء في كل مذهب من المذاهب الفقهيـــة المتّبعـــة، ككتابِ القاضي عيـــاض (ت٥٤٤هـــ): «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» في طبقات المالكية، وكتابِ تاج الدين السُّبكي (ت٧٧١هـ): «طبقات الشافعية الكبرى».

ومنها: كتابُ «أخبار القضاة» لأبي بكر الضبي (ت٣٠٦)، الملقب بـ«وَكِيع»، وكتـــابُ «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ ابن حجر العســـقلاني، وهكذا في كل علـــم صنفوا كتبًا في تراجم أصحابه، فكتبوا في طبقـــات القُرّاء، والمفسّرين، والمتكلمين، والأصوليين، والحُفّاظ، والنحويين، والأطباء، والحكماء.

ثم صنفـــوا في موضوعات طريفة، كتراجم العلـــماء الذين جمعتهم صفة معينة، مثل كتاب «مَنْ عاش مائة وعشرين ســـنة من الصحابة» للحافظ ابن

منده (ت٥١١هـ)، وكتاب «نكت الهميان في نكت العميان»! لصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ) »[١]، وكتاب «العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج» للشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ت١٤١٧هـ).

وربما صنفوا كتابًا ظنّ بعضُ المتسرعين أنه عبثٌ وإضاعةُ وقت، وعند التأمل تعرف غرضَهم منه، مثال هذا: كتابُ «البخلاء» لأبي عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) رحمه الله تعالى، حيث يقول في مقدمته مُبيّنا لفائدة كتابه على لسان صاحبِ الذي طلب منه وضعَ هذا الكتاب: «اُذكر لي نوادرَ البخلاءِ في باب الجِدّ، لأجعلَ الهزلَ مُستراحا، والراحةَ جماما[٢]، فإن للجِد كَدًّا يمنع من معاودته، ولا بدّ لمن التمسَ نفعَه من مراجعتِه»[٣]، ومن أعظم فوائده تقبيح صفة البخل في نفس القارئ ليجتنبها ويتحلّى بالجود والكرم، هذا مع الفوائد الكثيرة التي نثرها في كتابه هذا أثناءَ أخبارِ البخلاء، ليكون الكتابُ كما يُسمّى في عصرنا «تعليمٌ بالترفيه»، حتى قال في مقدمته لصاحبه: «ولك في هذا الكتاب ثلاثةُ أشياء: تبيّن حجةٍ طريفةٍ، أو تَعرُّف حيلةٍ لطيفةٍ، أو استفادةُ نادرةٍ عجيبةٍ. وأنت في ضحكٍ منه إذا شئت، وفي لهوٍ إذا مللتَ الجِدَّ»[٤]، ثم تكلم عن الضحك والبكاء وفوائد كُلٍّ للطباع وفضائله!

(١) وهو موضوع نادر مفيد، وصدّره بعشرة مقدمات علمية حول العمى - نسأل الله العافية -، وختم مقدماته بقوله: «قلَّ أنْ وُجد أعمىً بليدًا، ولا يُرى أعمى إلا وهو ذكي»، (نكت الهميان في نكت العميان، ص: ٥٩).

(٢) أي سببا لاسترجاع القوة والنشاط والهمّة بعد الكدّ والتعب والملل.

(٣) كتاب البخلاء للجاحظ (ص١٥).

(٤) البخلاء (ص٢١).

وغيرهـــا مـــن المصنفات التي لا تدخـــل تحت حصر، وكلُّهـــا ذات بال في موضوعها، ولهـــا أهمية في بابها، ولا نعرف لعلمائنا رحمهـــم الله تعالى كتابًا وضعوه لترف فكري، أو عبثٍ لا فائدة من ورائه.

منهجية البحث وخُطته:

يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك بسرد الأحداث التاريخية المتعلقة بسيرة المترجَم لهم، مع القيام بتحليل بعضها وأخذ العِبر منها.

وقد رتبتُ هؤلاء العلماء المترجَم لهم على الطبقات وســني الوفيات[1]، فســيقف القارئ على أفرادٍ من الصحابة، والتابعين، وأتبــاع التابعين، ومن الطبقات التي بعدهم ممن تبعهم بإحسان إلى القرن الهجري الماضي.

ولمّا كان السُّـــجود عملاً صالحاً، والموتُ عليه خاتمةً حســـنةً، ابتدأتُ الكتابَ بفصلٍ ذكرتُ فيه معنى حُسنِ الخاتمة وسوئها عند العلماء، ومراتِبِهما، وأسباب كُلٍّ، مع بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بها.

ومن هنا فقد جاء البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة، فالمقدمة فيها أهمية البحث والحاجة إليه، والدراســـات المُشـــابهة، ومنهجية البحث، وما يتعلق بذلك.

---

(١) وقد أخللت بهذا الترتيـــب في أول ترجمتين، حيث صدّرت الكتاب بترجمة الصحابي الجليل أبي ثعلبة الخشني (ت٧٥هـ)، ثم أتبعته بترجمة موسى بن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري (ت٢١هـ)؛ وذلك لمكانة أبي ثعلبة حيث شهد بيعة الرضوان، أما موسى فقد اختُلف في صُحبته، رضي الله عنهم.

أما **الفصل الأول** فكان في بيان معنى حُســن الخاتمة وسوئها، وأسبابهما، وجاء في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيانُ معنى حُسنِ الخاتِمة وسُوءِ الخاتِمة.

المبحث الثاني: مراتبُ حُسنِ الخاتمة وسوءِ الخاتمة وأسبابُهما.

المبحث الثالث: أحكام مُتفرقة تتعلق بالخواتيم والمُحتضرين.

ثم جاء **الفصل الثاني**: وفيه سرد العلماء ممن توفي وهو ساجد، مع تراجمهم، وهم ستةٌ وثلاثون عالمًا، وعالمةٌ واحدة -رحمهم الله تعالى-.

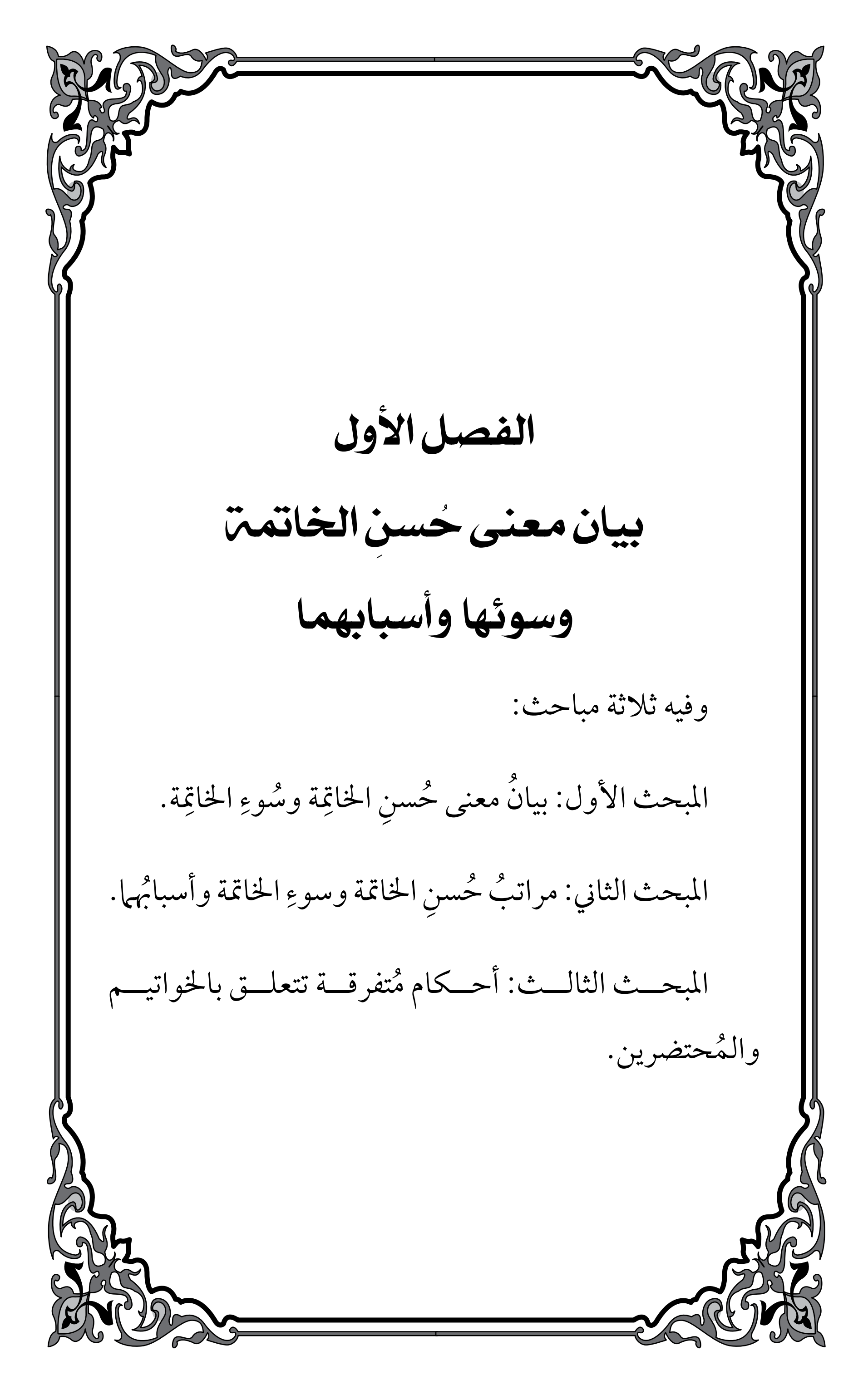
ثم الخاتمة.

هذا، ولا أدّعي الاســتقراءَ في البحثِ، ولا الاستقصاءَ في الجمعِ، بل قد تركتُ بعضَ مَنْ وقفتُ عليه ممن يدخل في شرط الوفاة ساجدًا.

وما أذكره في الكتــاب أثناء التراجم من عناويــن فرعية، أو كلمات بين معكوفتين [هكذا] فهو من عملي لمزيد الإيضاح.

ســائلاً الله تعــالى القبولَ بمحــضِ فضلِــه وكرمِه وجودِه وإحســانِه، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

۞ ۞ ۞



الفصل الأول

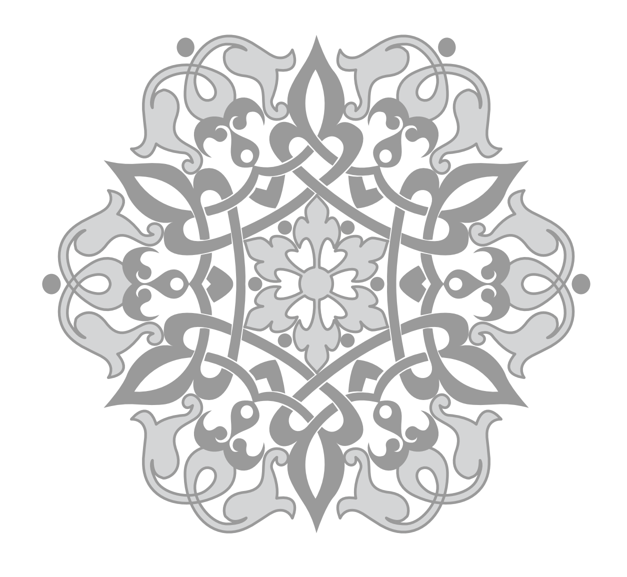
بيان معنى حُسنِ الخاتمة وسوئها وأسبابهما

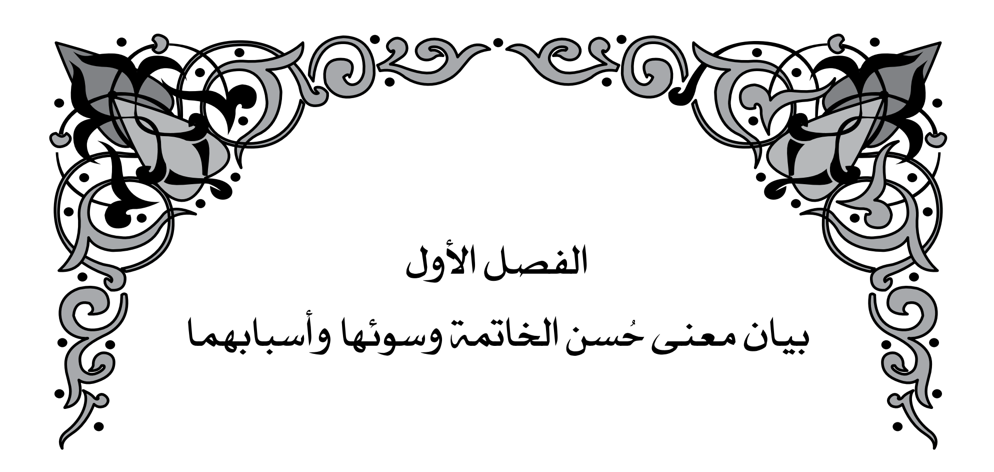
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيانُ معنى حُسنِ الخاتِمة وسُوءِ الخاتِمة.

المبحث الثاني: مراتبُ حُسنِ الخاتمة وسوءِ الخاتمة وأسبابُهما.

المبحث الثالث: أحكام مُتفرقة تتعلق بالخواتيم والمُحتضرين.





الفصل الأول

بيان معنى حُسن الخاتمة وسوئها وأسبابهما

تمهيد:

يلهج جميعُ المسـلمين في الدعاء بالإلحاحِ على الله تعالى بحُسـن الخاتمة، ويتعوذون بالله تعالى من سـوئها، وكلّما ازداد المسـلمُ علمًا وإيمانًا كان رجاؤه لحسن الخاتمة أكثر، كما أن خوفه من سوئها أعظم[١]، وكل ذلك لشدة خطورة مسألة الخاتمة من جهة، ولعدمِ العلمِ بالغيبِ وبماذا سبقتْ الخواتيمُ في الكتاب من جهة أخرى.

قال الحافظُ ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) رحمه الله تعالى: «وفي الجملة: فالخواتيم ميراث السـوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق.

وقد قيل: إن قلوبَ الأبـرارِ معلقةٌ بالخواتيم، يقولـون: بماذا يُختَم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سَبَقَ لنا؟

---

(١) والرجاء والخوف ليسا متناقضين، بل رديفين، وإنما نقيضُ الرجاءِ هو اليأسُ، ونقيضُ الخوفِ هو الأمنُ مِن مكرِ اللهِ تعالى.

وبكى بعض الصحابة عند موته، فسئل عن ذلك فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى قَبض خَلقَه قبضتين، فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النّار**»، ولا أدري في أي القبضتين كنتُ[1].

وقال بعض السلف: ما أبكى العيونَ ما أبكاها الكتابُ السابقُ.

وقال سفيانُ لبعض الصالحين: هل أبكاك قطُّ علمُ اللهِ فيك؟ فقال له ذلك الرجل: تركني لا أفرحُ أبدا!

وكان سفيانُ يشتدّ قلقُه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: أخاف أنْ أكونَ في أمّ الكتاب شقيًّا، ويبكي، ويقول: أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت». انتهى[2].

وقد قال الإمام ابن الهُمَام الحنفي (ت ٨٦١ هـ) رحمه الله تعالى وهو يذكر ما ينبغي أن يهتم الحاج بالدعاء به في المناسك والزيارة: «وأعظمُ المسائلِ وأهمُّها سؤالُ حُسنِ الخاتمةِ، والرضوانِ، والمغفرةِ»[3].

فإذا كان الأمر مُقلقًا إلى هذه الدرجة عند الصحابة والسلف والعلماء، فما هو مقصودهم من حسن الخاتمة التي يكثر إلحاحهم على الله تعالى بسؤالها؟ وما هو مقصودهم من سوء الخاتمة التي اشتد خوفهم منها؟

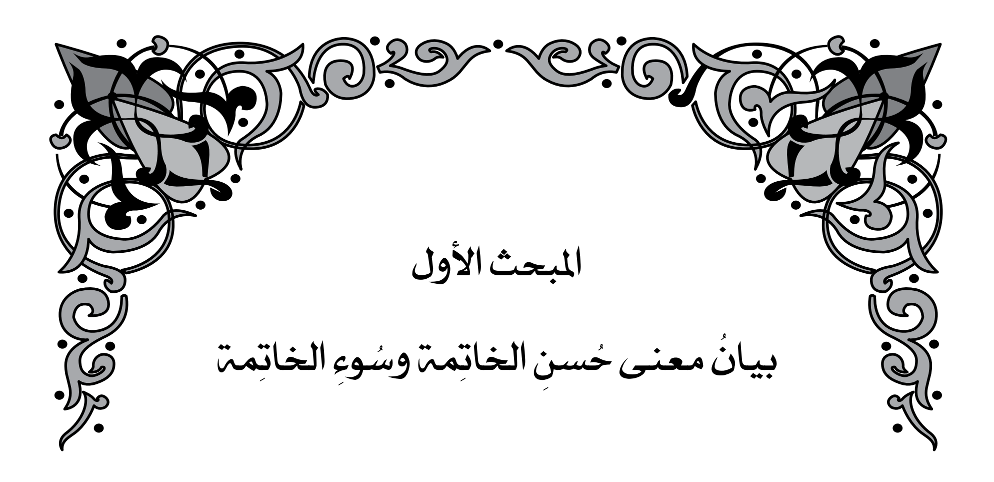
وبيان ذلك في المبحث الآتي.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ح ١٧٥٩٣) بألفاظ متقاربة، من حديث أبي عبد الله، رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ، وقال مُخرجوه: إسناده صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٣) في شرح الحديث الرابع.

(٣) «فتح القدير» للكمال ابن الهمام (٣/ ١٨١).



المبحث الأول

بيانُ معنى حُسنِ الخاتِمة وسُوءِ الخاتِمة

المراد بحسن الخاتمة هو: اطمئنانُ قلبِ المسلمِ وثباتُه على الإيمان بالله تعالى عند الموت، وخروجُ روحِه وهو على التوحيد، فلا يزِلُّ عند النزع، ولا يخالطه عندها في إيمانه شك.

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) رحمه الله تعالى: « فإذا زَهَقت نفسُه: فإن كان سَبقت له من الله الحسنى خَرجتْ روحُه على التوحيد، فذلك حسن الخاتمة، وإن سبق له القضاءُ بالشِّقْوَة -والعياذُ بالله- خَرجتْ روحُه على الشك والاضطراب، وذلك سوء الخاتمة »[1]. انتهى.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]، قال أحمد ابن عجيبة (ت ١٢٢٤ هـ) رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة: «﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، وهو: لا إله إلا الله، أو: كُلُّ ما يَثْبُتُ في القلبِ ويَتَمَكَّنُ فيه من الحق بالحجة الواضحة ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ مدةَ حياتهم، فلا يَزِلُّون إذا افتُتِنوا في حياتهم، أو عندَ

(١) إحياء علوم الدين، كتاب التوبة منه (٤/ ١٢).

موتِهم، وهي حسنُ الخاتمة، ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ عند السؤال، فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن مُعتقدهم في القبر، وعند الموقف، فلا تدهشهم أهوال القيامة »[١].

وفي حديث عبادةَ بنِ الصامت رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: « **مَن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءه، ومن كَرِه لقاءَ الله كَرِهَ اللهُ لقاءه** ».

قالت عائشة - أو بعض أزواجه ﷺ -: إنا لنكره الموتَ، قال: « **ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموتُ بُشِّرَ برضوانِ اللهِ وكرامتِه، فليس شيءٌ أحبَّ إليه مما أمامَه، فأحبَّ لقاءَ اللهِ وأحبَّ اللهُ لقاءه، وإن الكافرَ إذا حضرَ بُشِّرَ بعذابِ اللهِ وعقوبتِه، فليس شيء أكرَه إليه مما أمامه، كَرِهَ لقاءَ اللهِ وكره اللهُ لقاءه** »[٢].

وبهذا يُعلم أن حسنَ الخاتمةِ أمرٌ غيبيٌّ لا يطّلع عليه الناس في الغالب، ولكن تظهر على المحتضِر علامات وإشارات تدلُّ عليها، وسنأتي على ذِكر بعضها لاحقًا، وكذلك الأمر في سوء الخاتمة.

استحباب تحسين الظن بالله تعالى عند الموت:

ومن أجلِ تثبيتِ القلبِ على الإيمانِ، واطمئنانِه به عند الموت، والظفرِ بحسنِ الخاتمةِ: استحبّ العلماءُ للمحتضر تحسينَ ظنِّه بالله تعالى، واستحبوا لمن يحضُر عنده أن يُعينه على ذلك حتى يطمئنَّ قلبُه بالإيمان، ولا يجزعَ مما يراه فيسيء ظنَّه بالله تعالى.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٧).

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سـمعتُ النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث، يقول: « **لا يموتَنَّ أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن** »[١].

قال الإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ) رحمه الله تعالى: « وفي روايةٍ: إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى، قال العلماء: هذا تحذير من القُنوط وحثٌّ على الرجاء عند الخاتمة، ...، قال العلماء: معنى حسنِ الظنِّ بالله تعالى أن يظُنَّ أنه يرحمُه ويعفو عنه »[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « **يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ...** » الحديث[٣].

وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله جل وعلا يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إنْ ظنَّ خيرًا فله، وإنْ ظنَّ شرًّا فله** »[٤].

وعن حَيّان أبي النَّضْر قال: خرجتُ عائدًا ليزيد بنِ الأسود[٥]، فلقيتُ واثلةَ بنَ الأَسْقَعِ وهو يريد عيادته، فدخلنا عليه، فلما رأى واثلةَ، بَسَطَ يدَه، وجعلَ يُشير إليه، فأقبَلَ واثلةُ حتى جلسَ، فأَخذ يزيدُ بِكَفّي واثلةَ، فجعلَهُما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٢٠٩-٢١٠).

(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٣٩).

(٥) تابعي مخضرم أدرك الجاهلية، واختلف في صحبته، وهو رجل جليل عابد فاضل، عداده في الشاميين، ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام»(٢/ ٨٨٨) ضمن من توفي بين عامَي (٧١-٨٠)، وترجم له الحافظ ابن حجر في القسم الثالث من الإصابة (٦/ ٥٤٧).

على وجهِه، فقال له واثلةُ: كيف ظنُّك بالله؟ قال: ظني بالله - والله - حسَنٌ، قال: فأَبْشِرْ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: « **قال الله جل وعلا: أنا عِند ظَنِّ عبدي بي، إنْ ظَنَّ خيرًا، وإنْ ظَنَّ شرًّا** »(١).

قال سفيان الثوري: « ما أحبُّ أن حسابي جُعل إلى والدتي، ربي خيرٌ لي من والدتي »(٢).

وقال المعتمرُ بنُ سليمان: قال أبي حين حضرته الوفاة: « يا معتمر، حدثني بالرُّخَص، لعلي ألقى الله وأنا حسَنُ الظن به »(٣).

وعن إبراهيم قال: « كانوا يستحبون أن يُلَقِّنوا العبدَ محاسنَ عملِه عند موته ؛ لكي يحسن ظنه بربه »(٤).

قال العلامة الدردير (ت ١٢٠١ هـ) رحمه الله تعالى في شرحه على مختصر سيدي خليل في الفقه المالكي: «**(ونُدب)** لمن حضرته علاماتُ الموتِ **(تحسينُ ظنِّه)** أي أن يُحسن ظنَّه **(بالله تعالى)**، بأن يرجو رحمتَه وسعةَ عفوِه زيادةً على حالةِ الصحةِ، فإنه إنما طُلب منه تغليبُ الخوفِ حالَ الصحةِ ليَحملَه على كثيرِ العملِ، وفي هذه الحالةِ يَئس من العملِ فطُلب بتغليبِ الرجاء»(٥).

---

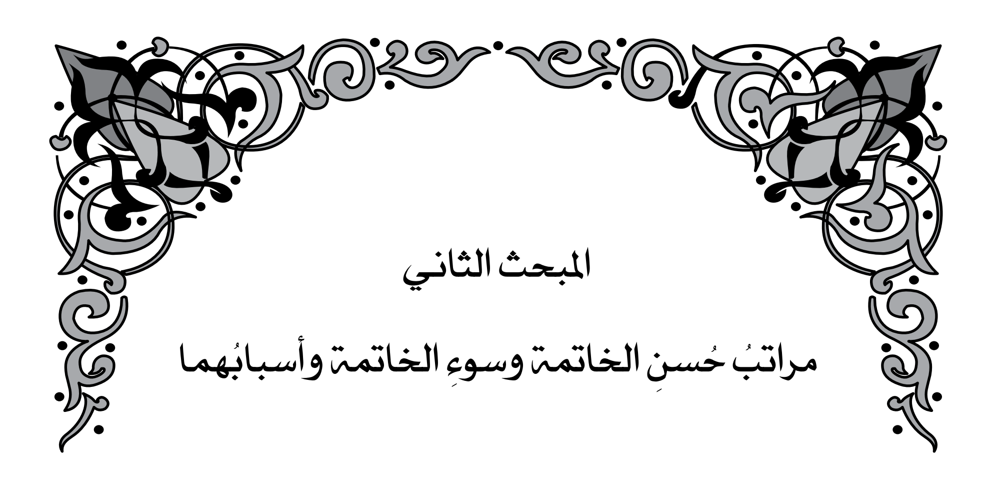
(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٤١)، ورواه بأطول مما هنا وأكثر فائدة: ابنُ أبي الدنيا في «كتاب المحتضرين» (ص٣١).

(٢) المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: ٣٦).

(٣) المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: ٣٩).

(٤) المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: ٤٠).

(٥) الشرح الكبير للدردير على مختصر خليل، ومعه حاشية الدسوقي (١/ ٤١٤)، وما بين القوسين هو نص خليل في المختصر، رحمهم الله تعالى.



المبحث الثاني

مراتبُ حُسنِ الخاتمة وسوءِ الخاتمة وأسبابُهما

حســن الخاتمة لها مراتب - نسأل الله أن يرزقنا أحســنَها -، وكل مرتبة لها أســباب، فثبات عامة المؤمنين عند الموت ليــس كثبات الصديقين، وثبات هؤلاء ليس كثبات الأنبياء، وما يَعرض لكل مرتبة من المســلمين عند الموت وما يشاهدونه من فضل وكرامة متفاوت.

كما أن لسوء الخاتمة مراتب - نسأل الله العفو والعافية -، فالمسلم العاصي إن تُوُفي على ســوء خاتمة - عياذًا بالله تعــالى - فإن مصيره في النهاية إلى الجنة، سواء عوقب في الآخرة أم عفا الله عنه، وبالتالي فإن خاتمته في الدنيا وما يراه أو يجده في احتضاره ليس كخاتمة الكافر.

وإذا عرفنا مراتبَ ســوء الخاتمة وأسبابها نســتطيع أن نعرف من خلالها مراتب حُسن الخاتمة وأسبابها كذلك، فالضدُّ يُعرف من ضدِّه.

فما هي مراتب سوء الخاتمة - عياذًا بالله منها -؟ وما هي الأسباب المُفضية إليها ؟

في بيان مراتب سـوء الخاتمة لمن كان أمره على الإسـلام في الحياة الدنيا، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: « اعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين، إحداهُما أعظم من الأخرى.

فأمّا الرتبةُ العظيمةُ الهائلةُ: فأَنْ يَغلبَ على القلب - عند سـكراتِ الموتِ وظُهورِ أهوالِه -: إمّا الشـكُّ، وإمّا الجحودُ، فتُقبـضُ الروحُ على حالِ غلبة الجُحود أو الشـكّ، فيكون ما غلب على القلبِ من عقدة الجحود حجابًا بينه وبين الله تعالى أبداً، وذلك يقتضي البُعدَ الدائمَ، والعذابَ المُخَلّد.

والثانيةُ - وهي دونها -: أنْ يَغلبَ على قلبِه عند الموتِ حبُّ أمرٍ من أُمور الدنيا، وشهوةٍ من شهواتِها، فيتمثل ذلك في قلبِه، ويستغرقُه، حتى لا يبقى في تلك الحالة مُتسـعٌ لغيره، فيتّفقُ قبضُ روحِه في تلك الحال، فيكونُ استغراقُ قلبِه به مُنكّسًا رأسَه إلى الدنيا، وصارفًا وجهه إليها.

ومهما انصرفَ الوجهُ عن اللهِ تعالى حصلَ الحجابُ، ومهما حصلَ الحجابُ نزل العذاب»[(١)]. انتهى.

مراتب حسن الخاتمة:

وبهذا يُعرف أن حُسن الخاتمة منها ما يكون عندها كمالُ إيمان العبد المسلم، وعند الاحتضار يُبلّغه الله تعالى أعلى مراتب اليقين والإحسـان، فيشاهد من آيات الله تعالى مـا يُتِمُّ نورَ قلبه، أو يزيد تمكن الإيـمان منه، فيفرحُ بلقاء ربه،

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ١٧٣-١٧٤).

وربما ظهرت عليه بعض آثار تلك الكرامة فيراها بعضُ من يحضره، كأن يلقى الله تعالى ولسانه لهِج بذكره، أو بتلاوة كتابه، أو يقبضه الله تعالى وهو في صلاته، أو سجوده، أو وهو في حلقات العلم، أو غيرها من الحالات التي لا تدخل تحت الحصر.

وسيأتيك في هذا الكتاب الذي بين يديك جملةٌ وافرةٌ من قصص هؤلاء الأخيار الذين عاشوا في الله، ثم قبضهم الله تعالى على أحسن ما يتمنّاه المؤمن.

ولكنّي أشير هنا إلى خاتمة سيد الخلق وأكرمهم على الله تعالى، سيدِنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: « **إنه لم يُقبَض نبيٌّ حتى يَرَى مَقْعَدَه من الجنةِ، ثم يُخَيَّر** »، فلما نزل به، ورأسُه على فخذي غُشِيَ عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: « **اللهم الرفيقَ الأعلى** ». فقلت: إذًا لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت آخرَ كلمةٍ تكلم بها: « **اللهم الرفيقَ الأعلى** »[١].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أيضًا قالت: دخل عبدُ الرحمن بنُ أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مُسنِدَتُه إلى صدري، ومع عبدِ الرحمن سواكٌ رطْبٌ يَسْتَنُّ به، فأَبَدَّهُ رسولُ الله ﷺ بَصرَه، فأخذتُ السواكَ فقَصَمْتُه، ونَفَضْتُه وطَيَّبْتُه، ثم دَفَعْتُه إلى النبي ﷺ فاسْتَنَّ به، فما رأيتُ رسول الله ﷺ استَنَّ استِنانًا قطُّ أحسنَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٦٣).

منه، فما عَدا أنْ فَرَغَ رسولُ الله ﷺ رَفَع يَدَه - أو إِصْبعَه -، ثم قال: « **في الرفيق الأعلى**» ثلاثاً، ثم قضى، وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي »[(١)].

وفي درجة أدنى من هؤلاء ربما يكون العبدُ ساهياً لاهياً غافلاً في دنياه، يعيش على غير دين الإسلام، فيُوفّقه الله تعالى للهداية، ويشرح صدره للإسلام قُبيل موته، ويدخل دين الله فيفوز أيما فوز، كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ مُقَنَّعٌ بالحديد، فقال: يا رسول الله، أُقاتِل أو أُسلِم؟ قال: «أَسلِم، ثم قاتِل»، فأسلمَ، ثُمَّ قاتَل فقُتِل، فقال رسول الله ﷺ: « **عَمِلَ قليلا وأُجِرَ كثيرًا** »[(٢)].

وحكى الإمامُ التابعيُّ الجليلُ الثقةُ القدوةُ ثابت البُناني (ت ١٢٧هـ) رحمه الله تعالى: « كان شاب له رَهَقٌ[(٣)]، وكانت أمه تَعِظُه، تقول: يا بُنَيّ، إنّ لك يومًا فاذكرْ يومَك! إنَ لكَ يومًا فاذكرْ يومَك! فلمّا نَزل أمرُ الله، انكبّت عليه أمُّه فَجَعَلَت تقول: يا بنيّ، قد كنتُ أُحَذِّرُكَ مصرَعَك هذا وأقولُ لكَ: إن لكَ يومًا فاذكرْ يومَك! قال: يا أُمَّهْ، إن لي رَبًّا كثيرَ المعروفِ، وإني لأرجو أن لا يعدمني اليومَ بعضُ معروفِ ربي أن يغفرَ لي.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٣٨)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «هدى الساري مقدمة فتح الباري» (١/ ١٠٧): «قوله (حاقنتي): قيل: الحاقِنةُ ما سَفُل من البطن، والذاقِنَة ما علا منها، وقيل: الحاقِنة ما فيه الطعام، وقيل: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين والحلق». ا.هـ، فالمعنى أنه ﷺ توفي وهو مُسندٌ ظهره ورأسه الشريف إلى صدرها رضي الله تعالى عنها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٨٠٨).

(٣) أي أنه كان من أهل الشرِّ والمعاصي والطغيان. انظر القاموس المحيط (ص٨٨٩).

يقول ثابتٌ: فرحِمَه اللهُ لحُسنِ ظنِّه بربِّه في حالِه تلك »[١].

أسباب سوء الخاتمة:

وتلك المرتبتان في سوء الخاتمة - نسأل الله العفو والعافية - لكلٍّ منهما أسبابٌ تفضي إليها، ولا يمكن حصر هذه الأسباب على التفصيل؛ لكثرتها، ولكن أشار الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى إلى مَجامِعها، وذكر أن لكلّ مرتبةٍ سببين يؤديان إليها، فقال:

« **أمّا الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين:**

أحدُهما يُتصور مع تمامِ الورعِ والزهدِ وتمام الصلاحِ في الأعمال، كالمبتدع الزاهد، فإن عاقبته مُخطرة جداً، وإن كانت أعمالُه صالحةً، ...، أعني بالبدعة أن يَعتقدَ الرجلُ في ذاتِ الله وصفاتِه وأفعالِه خلافَ الحق، ...، فربما ينكشف له حال سكرات الموت بطلانُ ما اعتقده جهلاً، إذ حالُ الموتِ حالُ كشفِ الغطاء، ومبادئُ سكراته منه، فيكون سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها، فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخَطْرة قبل أن يَثْبُت ويعود إلى أصلِ الإيمان فقد خُتم له بالسوء، وخرجت روحه على الشرك - والعياذ بالله منه -، فهؤلاء هم المُرادُون بقوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر:٤٧]، وبقوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤]»[٢]. انتهى.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «المحتضرين» (ص١٨) بسند جيد.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٧٥) باختصار وتصرف يسير.

ثم يتابِع الشـيخُ حديثَه عن الأسـباب المُفضيةِ إلى سـوء الخاتمة بالشك والجحود، فقـال: « **وأمّا السـبب الثاني: فهو ضعف الإيمان في الأصل، ثم استيلاءُ حُبّ الدنيا على القلب**، ومهما[1] ضَعُف الإيمانُ ضَعُفَ حُبُّ الله تعالى، وقَـوي حُبُّ الدنيا، فيصيرُ بحيث لا يَبقى في القلبِ موضعٌ لحُب الله تعالى إلا مِن حيثُ حديثُ النفسِ، ولا يَظهرُ لهُ أثرٌ في مُخالفةِ النفسِ والعُدولِ عن طريقِ الشيطانِ، ...، فلا يزال يُطفئ ما فيه من نور الإيمان -على ضعفِه!- حتى يصيرَ طبْعًا ورينًا، فإذا جاءت سـكراتُ الموتِ ازدادَ ذلك الحبُّ -أعني حبَّ الله- ضعفًا؛ لما يبدو من استشـعار فِراق الدنيا، وهي المحبوبُ الغالبُ على القلبِ، فيتألّمُ القلبُ باستشعار فِراقِ الدنيا، ويرى ذلك من الله؛ فيختلج ضميرُه بإنكارِ ما قُدّرَ عليه من الموتِ وكراهةِ ذلك مِن حيث إنه مِن الله، فيُخشـى أن يثورَ في باطنـه بغضُ الله تعالى بدلَ الحب، ...، فإن اتفق زُهوقُ روحِه في تلك اللحظة التي خَطَرَتْ فيها هذه الخَطْرةُ فقد خُتِمَ له بالسوء، وهَلَكَ هلاكًا مُؤَبّدًا.

والسـبب الذي يُفضي إلى مثلِ هذه الخاتمةِ هو غلبةُ حُبّ الدنيا، والركونُ إليها، والفرحُ بأسـبابها، مع ضعف الإيمان المُوجِـب لضعف حُبّ الله تعالى، فمَن وَجـد في قلبه حُبَّ الله أغلبَ مـن حُبّ الدنيـا - وإن كان يُحب الدنيا أيضًا - فهو أبعدُ عن هذا الخطر »[2]. انتهى.

أمّا أسـباب المرتبة الثانية من مرتبتَي سـوء الخاتمة، فيقـول فيها الإمام الغزالي:

---

(١) (مهما) بمعنى: كلما.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٧٦).

« وأمَّا الخاتمــة الثانية التي هي دون الأولى، وليســت مقتضية للخلود في النار، فلها أيضًا سببان:

أحدهما: كثرة المعاصي – وإن قوي الإيمان –.

والآخرُ: ضعفُ الإيمانِ – وإن قَلَّت المعاصي –.

وذلك لأنَّ مُقارفةَ المعاصي ســببُها غلبةُ الشهوات، ورسوخُها في القلب بكثرة الإلفِ والعادةِ، وجميعُ ما أَلِفَهُ الإنســانُ في عمره يعودُ ذِكرُه إلى قلبه عند موتــه، فإن كان مَيْلُه الأكثرُ إلى الطاعــات: كان أكثرَ ما يحضره ذكرُ طاعةِ الله، وإن كان مَيْلُه الأكثرُ إلى المعاصي: غَلب ذِكرُها على قلبِه عند الموت.

فربما تُقبض روحُه عندَ غَلَبَة شــهوةٍ من الشــهوات الدنيا، ومعصيةٍ من المعاصي، فيتقيّدُ بها قلبُه، ويصيرُ محجوبًا عن الله تعالى[1].

فالذي لا يُقارفُ الذنبَ إلا الفَيْنَةَ بعــد الفَيْنَةِ: فهو أبعدُ عن هذا الخطر، والذي لم يُقارف ذنبًا أصلاً: فهو بعيد جدًا عن هذا الخطر، والذي غَلبت عليه المعــاصي وكانت أكثرَ من طاعاته وقلبُه بها أفــرحَ منه بالطاعات: فهذا الخطرُ عظيمٌ في حقّه جداً »[2]. انتهى.

---

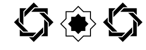
(١) والفــرق بين هذه المرتبة من ســوء الخاتمة وبين المرتبة التي قبلهــا: أنه في هذه الحالة يبقى في قلبه بعــضُ الإيمان بالله تعالى، أما في تلك الحالة الأولى فيضعف فيها الإيمان ويضعــف حبُّ الله تعالى حتى يثور في باطنه بغضُ الله تعالى؛ فيُقبض على تلك الحال وهو مبغض لربه، عياذًا بالله تعالى.

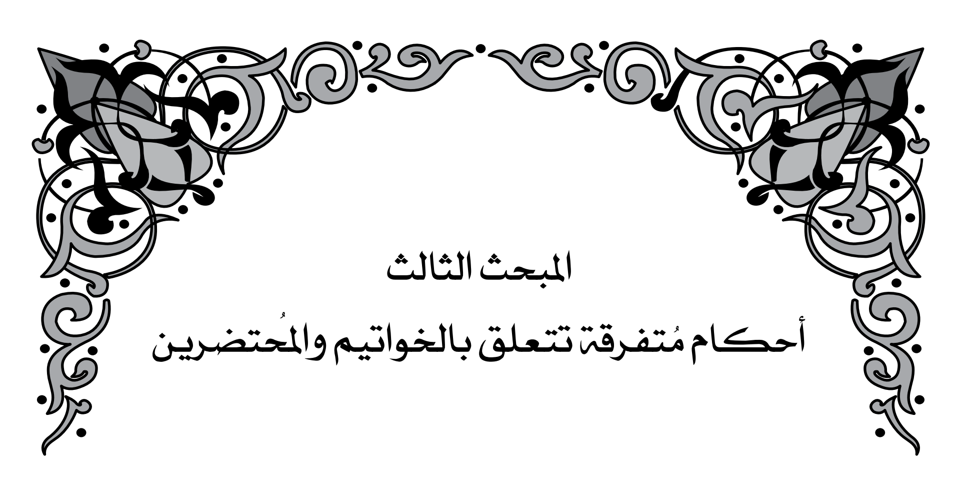
(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٧٧).

أسباب حُسن الخاتمة:

ويعلم من هذا أن أهم أسباب حسن الخاتمة هو الحياةُ على طاعة الله تعالى، وتصحيحُ الإيمانِ والتصورِ (أو المعتقَد) عن الله تعالى ورسله، والإيمان بالغيب، وبالملائكة والكتب واليوم الآخر، والقدر، على مقتضى الكتاب والسنة، ويحيا على بصيرةٍ من العلم، وإخلاصٍ في العمل، مع عدم التفات القلب إلى التعلُّق بالدنيا أو الركون إليهـــا، بل يدخل إلى الدنيا ويأخذ منها حاجتَه التي أمرَه اللهُ بها أو أباح له منها، ولكنه يبقى مُعلَّقًا قلبَه بخالق الدنيا ومدبرِ الأمرِ فيها.

وســـيأتيك بإذن الله تعالى في هذا الكتاب نماذج عملية وتطبيقية للأسباب المؤدية لحســـن الخاتمة، وذلك في تراجم العلماء الأخيار الذين توفّاهم الله تعالى سُجّدًا بين يديه.





المبحث الثالث
أحكام مُتفرقة تتعلق بالخواتيم والمُحتضرين

التفكر في شـأن الخواتيم والاحتضار من شأنه أن يثير أسئلة لدى المُسلم تتعلق بهذه الأمور، فلماذا أخفى الله تعالى خواتيمَ البشر؟

ولماذا لا نترك العملَ اتكالاً على الخاتمة؟

ولماذا نرى الرجلَ يسعى حياتَه في الخير حتى إذا جاءه الموت توفاه الله على سوء الخاتمة؟ أو العكسُ، حيث يسعى الرجلُ ربما في الشر والمعاصي ثم يموت على أحسن ما تكون الخواتيم.

هل إذا رأينا شـخصًا يحتـضر وظهرت عليه آثارٌ سـيئة نحكم عليه بالنّار؟

نسمع ونرى بعضَ الناس إذا غضبوا على أحدٍ دعَوْا عليه بسوء الخاتمة، أو أن يقبضه الله على غير الإسلام، فهل يجوز هذا؟ ونحوُها من الأسئلة المثارة.

نحاول أن نجيب عن مثل هذه المسائل كما قرر علماؤنا رحمهم الله تعالى في كتبهم، مستعينين بالله تعالى، وراجين منه التوفيق.

أولاً: ما الحكمة من إخفاء الله تعالى خواتيمَ الناس؟

قال العلامة الفقيه المحدث ابــنُ بَطَّال المالكي (ت٤٤٩هـ) رحمه الله تعالى في شرح قول النبي ﷺ: « **وإنما الأعمال بخواتيمها** » ما نصُّه:

« في تغييــب الله عن عبادِه خواتيمَ أعمالِهم حكمــةٌ بالغةٌ وتدبيرٌ لطيفٌ، وذلك أنه لو عَلم أحدٌ خاتمةَ عملِه لدَخَلَ الإعجابُ والكسلُ من عِلمِ أنه يُختَمُ له بالإيمان، ومَن عَلِمَ أنه يُختَمُ له بالكفرِ يزدادُ غيًّا وطُغيانًا وكفرًا؛ فاستأثر اللهُ تعالى بعلمِ ذلك ليكونَ العبادُ بين خوفٍ ورجاءٍ، فلا يَعجبُ المطيعُ لله بعملِه، ولا ييــأسُ العاصي من رحمتِه؛ ليقعَ الكلُّ تحت الــذُّلِّ والخضوعِ لله والافتقارِ إليه.

وقال حفصُ بــنُ حميد: قلتُ لابن المبارك: رأيتُ رجلاً قتل رجلاً، فوقع في نفسي أني أفضل منه! فقال عبد الله [بن المبارك]: أَمْنُكَ على نفسِك أشدُّ من ذنبه.

قال الطبري: ومعنى قوله إن أَمْنَه على نفســه أنه من الناجين عند الله من عقابه أشدُّ من ذنب القاتل: لأنه لا يَدري إلى ما يؤول إليه أمرُه وعلى ما يموت، ولا يَعلم أيضا حــالَ القاتِلِ إلى ما يصير إليه، لعله يتوبُ فيموتُ تائبًا، فيصير إلى عفوِ الله، وتصير أنــت إلى عذابِه لتَغَيُّر حالِك مــن الإيمان بالله إلى الشرك بــه، فالمؤمن في حال إيمانه -وإن كان عالمًا بأنه محســن فيه - غيرُ عالمٍ على ما هــو ميِّتٌ عليه، وإلى ما هو صائرٌ إليه، فغيرُ جائزٍ أنْ يَقضيَ لنفسِــه - وإن كان

محسناً - بالحسنى عند الله، ولغيره - وإنْ كان مسيئاً - بالسوء، وعلى هذا مضى خيار السلف »[(١)]. انتهى.

ثانيًا: لمّا كانت الأعمال بخواتيمها فلماذا لا نتّكل عليها ونترك العملَ؟

أثير هذا السؤال في ذهن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فكان أفضلُ من يجيبهم عن هذا السؤال هو المعلمُ الأولُ رسولُ الله ﷺ.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوسا مع النبي ﷺ ومعه عود يَنْكت في الأرض، وقال: «**ما منكم مِن أحدٍ إلا قد كُتِبَ مقعدُه مِن النّار أو مِن الجنّة**»، فقال رجل من القوم: أَلَا نتّكِلُ يا رسول الله؟ قال: «**لا، اعملوا فكل ميسر**. ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾، الآية»[(٢)] انتهى.

وتتمة الآيات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [سورة الليل:٥-١٠].

قال الحافظ ابن حجر: « وحاصل السؤال: ألا نترُكُ مشقةَ العمل؟ فإنّا سنصير إلى ما قُدّر علينا، وحاصل الجواب: لا مشقة، لأن كُلَّ أحدٍ مُيَسّر لما خُلق له، وهو يسيرٌ على من يسره الله »[(٣)]. انتهى.

فقول الصحابي رضي الله تعالى عنه (أفلا نتكل)، معناه: «أفلا نعتمد على

(١) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (١٠/ ٢٠٣-٢٠٤)، في شرحه لحديث سهل بن سعد «إنما الأعمال بخواتيمها» (رقم٦٤٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً (٦٦٠٥).

(٣) فتح الباري (١١/ ٤٩٧).

مـــا كُتب لنا في الأزل، ونترك العمل؟ يعني: إذا سَـــبَقَ القضاءُ لكلِّ واحدٍ منّا بالجنة أو النار، فأيُّ فائدةٍ في السعيِ، فإنه لا يَرُدّ قضاءَ الله وقدرَه؟

وأجاب عليه الصلاة والســـلام بقوله: **(اعملوا)**، وهو من الأســـلوب الحكيم، مَنَعَهُم ﷺ عن الاتكال وترك العمل، وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد مـــن امتثال أمر مولاه، وهو عبوديتُه عاجلا، وتفويضُ الأمر إليه آجلا، يعني: أنتم عبيد، ولا بد لكم من العبوديـــة، فعليكم بما أُمرتم به، وإياكم والتصرفَ في الأمور الإلهية، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، فلا تجعلوا العبادةَ وتركَها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار، بل أمارات وعلامات لها، ولا بد في الإيجاب من لطف الله وكرمه، أو خذلانه، كما ورد: « ولا يدخلُ أحدُكم الجنةَ بعمله » ....، الحديث»[١].

فعُلم بهذا أن الشـــقاء والسعادة بتقدير الله تعالى وحكمته، وقد عبّر النبي ﷺ عن المراد بلفظ: **(كلٌّ ميسَّرٌ)**، والإنســـانُ لا يأتي الشيءَ بطريقِ التيسيرِ إلا وهو مختارٌ غيرُ كاره، بعكس الجبر الذي يأتيه الإنسان وهو مُكره.

ولتقريبِ الصـــورةِ إلى الأذهانِ أكثر، نقول: إن الأمر بالعمل مع ســـبق الخواتيم هو تمامًا مثلُ الأمر بالســـعي في طلب الكسب والمعاش مع أن الرزقَ مكتوبٌ عند الله تعالى، كما أن الإنســـان مأمور بالابتعاد عمّا يضره، ويسعى في مُداواة نفســـه من الأمراض إن وقعت به مع كـــون الأجل والأعمار لا تتقدم ولا تتأخر، والله تعالى أعلم[٢].

---

(١) قاله الطيبي في شرحه على مشكاة المصابيح «الكاشف عن حقائق السنن» (٢/ ٥٣٨).
(٢) انظر فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٩٨) ففيه مزيد بيان.

ثالثًا: ما السـبب في الختم على الخير لأشـخاص أقاموا على المعاصي أكثر عمُرهم؟ والعكس في الختم على السوء لأناس عاشوا أغلب حياتهم في الطاعة؟

روى عبد الله بن مسـعود – رضي الله تعالى عنه – عن النبي ﷺ قال: «... **فـإن الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتـى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخل الجنةَ، وإن الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، حتـى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسـبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ، فيدخل النّار**»[1].

وعن سـهل بن سعد السـاعدي رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الرجـل ليعمل عملَ أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عملَ أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة**»[2].

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) رحمه الله تعالى: «وقوله (**فيما يبدو للناس**) إشـارة إلى أن باطنَ الأمِرِ يكونُ بخلافِ ذلك، وأن خاتمةَ السوءِ تكونُ بسببِ دسيسةٍ باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوءَ الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعملُ الرجلُ عملَ أهلِ النار وفي باطنِه خصلةٌ خفيةٌ من خصالِ الخيرِ، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة.

(١) رواه البخاري – واللفظ له – (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) رواه البخاري (٢٨٩٨).

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلا عند الموت يلقن لا إله إلا الله، فقـال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال فسـألت عنه، فـإذا هو مدمن خمر. فكان عبـد العزيز يقول: اتقوا الذنـوب، فإنها هي التي أوقعته »[(١)]. انتهى.

ثم قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «ومِـن هنا كان الصحابةُ ومَنْ بعدَهم مِن السلف الصالح يخافون على أنفسهم النفاق، ويشتد قلقهم وجزعهم منه، فالمؤمـن يخاف على نفسـه النفاقَ الأصغرَ، ويخافُ أن يغلـب ذلك عليه عند الخاتمة، فيخرجه إلى النفاق الأكبر، كما تقدم أن دسـائس السوء الخفية توجب سوء الخاتمة، ...،

وخرّج الإمام أحمد من حديث أم سـلمة أن النبي ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول: «**اللهم مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**»، فقلت: يا رسول الله، أو إن القلـوب لتتقلب؟ قال: «**نعم؛ ما من خلق الله تعالى من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله، فإن شـاء عز وجل، أقامه، وإن شـاء أزاغه، فنسـأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسـأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب**».

قالت: قلتُ: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: « **بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد، اغفر لي ذنبـي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني**»[(٢)].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٢-١٧٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٦٥٧٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٦): «إسناده حسن».

وفي هـــذا المعنى أحاديث كثيرة. وخرج مســـلم مـــن حديث عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد يصرفه حيث يشاء** »، ثُمَّ قال رسول الله ﷺ: « **اللهم مصرِّفَ القلوب صَرِّفْ قلوبَنا على طاعتك** »(١).

وفي قصة الجن الذين أرســـلهم إبليسُ فســـمعوا القـــرآن من النبي ﷺ وأســـلموا(٢) يقول الحافظ ابـــن حجر رحمه الله تعـــالى: «الاعتبار بما قضى الله للعبد من حســـن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشر، ولو بلغ ما بلغ؛ لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامـــات الشر ما اختارهم للتوجه إلى الجهـــة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك، فغلب عليهم ما قُضي لهم من الســـعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون»(٣).

رابعًا: إذا رأينا شخصًا يحتضر ولم ينطق بالشهادتين، أو رفض النطق بها، فهل يكون هذا علامةً على سوء الخاتمة؟

تقدم الكلام على أن المحتضر يســـتحب له تحســـين ظنه بالله تعالى، وأنه يســـتحب لمن حضر عنده أن يعينه على ذلك بذكر رحمة الله وفضله، وأن يُذكّرَه بمحاسن عمله التي عملها في دنياه.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٤-١٧٥).

(٢) انظر حديثهم في صحيح البخاري (٤٩٢١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٧٥).

ويستحب أيضا لمن حضر ميّتاً أن يلقنه الشهادة، فعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلمته: لا إله إلا الله عند الموت، دخلَ الجنةَ يوما من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**»(٢).

ولكن هذا التلقين له آدابه، فالمحتضِر يكون في حالٍ شديد، وربما يضجر مما حوله بأقل الأسباب فيتلفظ بكلامِ سوءٍ، أو يزداد عليه الضيق، ولذا فلا يُقال للمحتضر: قُل لا إله إلا الله! فربما رفض قولها للشدة التي فيه مع أنه مؤمن بها، فيظُن الحاضرون أنه مات على سوء خاتمة، وليس الأمر كذلك، فليس كلُّ مَظهر سيء يدلُّ على سوء الخاتمة(٣).

ولذا يقول العلامة الحطاب الرعيني (ت٩٥٤هـ) رحمه الله تعالى في حاشيته الجليلة على مختصر خليل في الفقه المالكي: «تنبيه: ولا يَضجر من عدم قبول المحتضرِ لما يُلقيه إليه؛ لأنه يُشاهد ما لا يُشاهدون»(٤).

---

(١) رواه أبو داود في «السنن» (٣١١٦).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٠٠٤).

(٣) قال العلامة الخرشي في شرحه على مختصر خليل (٢/ ١٢٢): «ومن علامات البشرى للميت: أن يصفرّ وجهُه، ويعرق جبينُه، وتذرف عيناه دموعًا. ومن علامات السوء: أن تحمرّ عيناه، وتربد شفتاه، ويغط كغطيط البكر. ا.هـ، و(تربدّ) -بالباء الموحدة بعدها دال مشددة- قال في «القاموس»: الرُّبْدَة - بالضم -: لون إلى الغبرة» انتهى كلام الخرشي رحمه الله تعالى.

(٤) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحطاب المالكي (٢/ ٢١٩).

وإنــما يكون الأدب الشرعي والهدي النبــوي في التلقين كما بيّنه الفقهاء، ومنه ما قاله العلامة محمد عليش المالكي (ت١٢٩٩هـ) في شرحه على مختصر خليل رحمهما الله تعالى:

«(و) نُدب (تلقينُه) أي المحتضرُ (الشهادةَ)، بأن يُقالَ بقُربه، بصوتٍ هادٍ يسمعُه: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فإن قالها المحتضرُ فلا تُعــاد، إلا إذا تكلم بكلامٍ دنيوي فتعاد؛ لتكون آخر كلامه، وإن لم يقلها فتُقال بعد سكتة.

ويُنــدبُ أن يكون المُلقنُ أحبَّ الناسِ إليــه، وأن لا يكون وارثه إلا ابنَه، وأن لا يقالَ له قــل؛ لأنه قد يُصادف قولَه (لا) لــرد الفتانات، فيسيءُ الملقنُ ظنَّه به.

وقــد اتفق هذا للإمام أحمد بن حنبل – رضي الله تعالى عنه – قال له ولده عبد الله، وهو مغمور: قل لا إله إلا الله محمد رســول الله، فقال أحمد: لا، بعدُ، فحزِن ولدُه حزنًا شديدًا لظنّه ردَّه عليه، فأفاق الإمامُ أحمدُ من غمرته، وأخبر ولدَه بأن الشــيطان حضره إذ ذاك، وقال له: نجوتَ مني يا أحمد؛ ليُدخل عليه عُجبَه بنفسه، فقال له أحمد: لا، بعدُ، أي: لا أنجو منك إلا بعد موتي، وما دمتُ حيًّا فإني على حذرٍ منك»[1]. انتهى.

وكذا من سكت ولم ينطق بالشهادة عند موته، لذُهوله أو فقدانه الوعيَ،

(١) مِنَحُ الجليل شرحُ مختصر خليل (١/ ٤٩١).

فليس هذا من ســـوء الخاتمة، وفي بيان هذا يقول الإمام القَرَافي (ت ٦٨٤ هـ) رحمه الله تعالى: « من خَرَسَ لسانُه عند الموت، وذهبَ عقلُه فلم ينطِق بالشهادة عند الموتِ، ولا أحـــضرَ الإيمانَ بقلبِه، ومات على تلـــك الحالةِ: مات مؤمنًا، ولا يضره عدمُ الإيمانِ الفعليِّ عند الموتِ.

كما أن الكافـــرَ إذا حضرته الوفاةُ أخرسَ ذاهبَ العقلِ، عاجزًا عن الكفر في تلك الحال، لعدم صلاحيته له، لا ينفعُه ذلك، وحكمُه عند الله حكمُ الذين اســـتحضروا الكفر في تلك الحـــال بالفعل، فالمعتبر ما تقـــدم من كفر وإيمان، ولا يضرُّ العدمُ في المعنى عند الموت »[١]. انتهى.

خامسًـــا: هل يجوز الدعاء على مسلمٍ بسوء الخاتمة؟ أو أن يموت على غير دين الإسلام؟

نص كثير من الفقهاء رحمهم الله تعالى على أن الدعاء على مســـلم بســـوء الخاتمة حرام لا يجوز، وكذلك يحرم الدعاءُ عليه بأن يموت على غير الإسلام.

قـــال العلامة الخرشي: «وفي جواز الدعاء بســـوء الخاتمة قولان، الراجحُ -كما قاله ابن ناجي وغيره-: المنعُ، خلافا للبُرْزُلي»[٢].

وقال النفراوي في شرح رسالة ابن أبي زيد: «وحكمُ الدعاءِ في الأصلِ

(١) الفروق للإمام القرافي (١/ ٢٠١-٢٠٢) في الفرق الرابع والثلاثين، وقد سلّمه له ابنُ الشاط في حاشيته عليه.

(٢) شرح مختصر خليل للخرشي (١/ ٢٩٠).

الندبُ، وقد يَعرضُ له الوجوبُ كالدعاء على الجنازة، أو الحرمةُ كالدعاء على شقيٍّ بسوء الخاتمة، والكراهةُ كالدعاءِ بشيءٍ يكون وسيلةً لمكروه»[١].

وقال العلامة الصاوي المالكي رحمـــه الله تعالى: «ويُنهى عن الدعاء عليه بذهـــاب أولاده وأهله، أو بالوقوع في معصيةٍ؛ لأن إرادةَ المعصيةِ معصيةٌ، ولا يجوزُ الدعاءُ عليه بسوءِ الخاتمةِ»[٢].

وقد نبّه قَبلهـــم الإمام القرافي رحمه الله تعالى على مســـائل وفروق دقيقة متعلقة بهذه المســـألة، فقال في كتابه النفيس «الفـــروق»: « ولا يندرج في إرادة الكفرِ الدعاءُ بسوءِ الخاتمةِ على من تُعاديه، وإن كان فيه إرادةُ الكفر؛ لأنه ليس مقصودًا فيه انتهاك حرمة الله تعالى بل إذاية المدعو عليه »[٣]. انتهى.

ثم يقـــول في موضع آخر: « وحيثُ قلنا بجواز الدعاء على الظالم فلا تدعُ عليه بملابســـة معصية من معاصي الله تعالى، ولا بالكفـــرِ، فإنَّ إرادةَ المعصيةِ معصيةٌ، وإرادةَ الكفرِ كفرٌ »[٤].

ولكن تعقّبه الفقيه النظّار البارع ابن الشاط المالكي (ت٧٢٣هـ) رحمه الله تعالى، فقال:

---

(١) الفواكـــه الدواني على رســـالة ابن أبي زيد القـــيرواني (٢/ ٣٣٠)، وانظر كلامه أيضا (١/ ١٨٣).

(٢) حاشية الصاوي على الشرح الصغير للدردير (١/ ٣٢٩).

(٣) (٤/ ١١٨-١١٩)، في الفرق الحادي والأربعين والمائتين.

(٤) الفروق (٤/ ٢٩٤) في القسم الحادي عشر من الفرق الثالث والسبعين والمائتين.

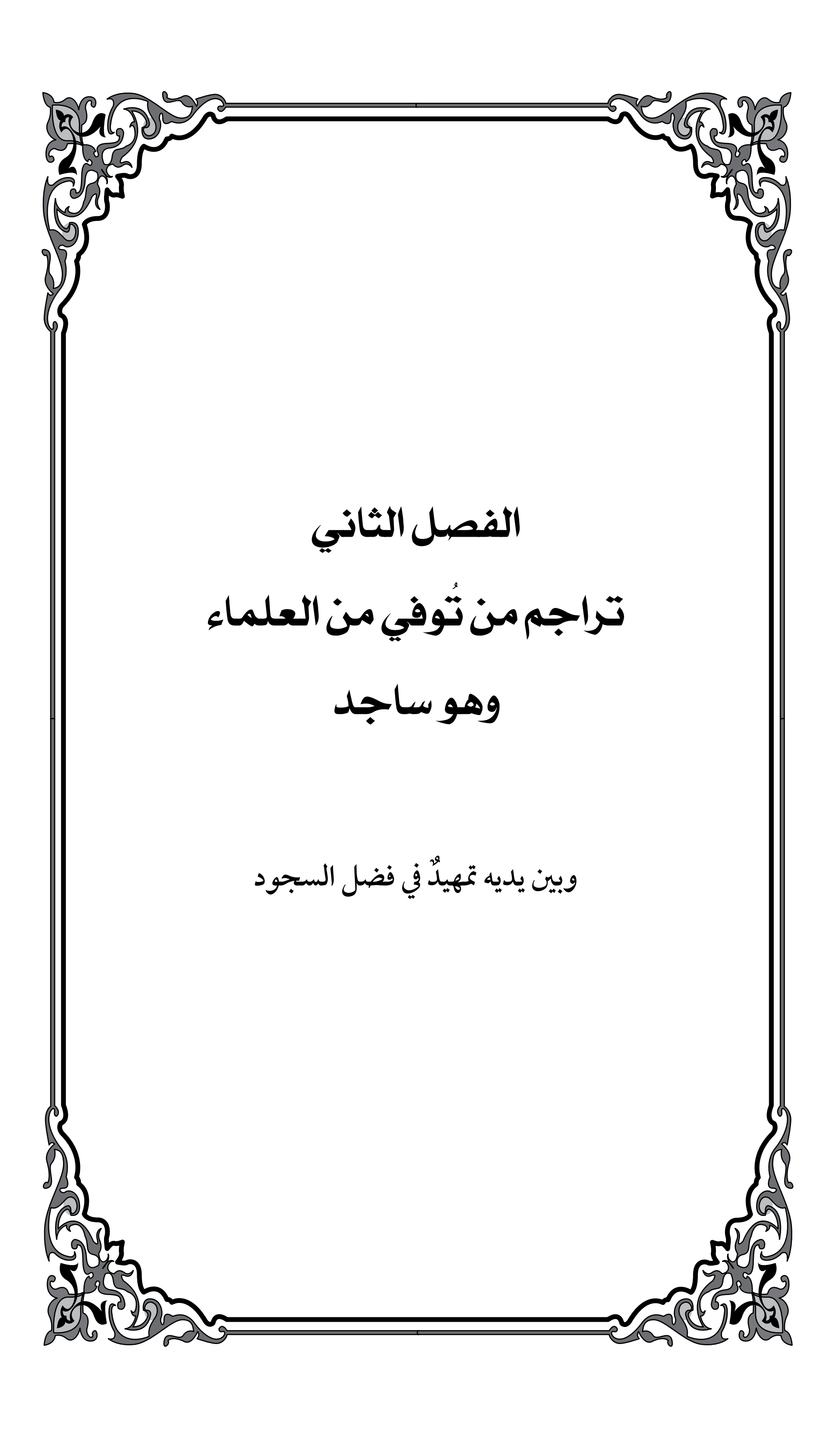
« قلتُ: ليس هــذا الإطلاق عندي بصحيح، بل إن اقترنَ بإرادة المعصية قــولٌ في المعصيــةِ التي هي قولٌ، أو فعــلٌ في المعصيةِ التي هــي فعلٌ، فذلك معصيــةٌ، وإلا فلا، على ما اقتضاه قولــه ﷺ: « **إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسَــها ما لم تعملْ أو تتكلمْ** »[1]، فإرادةُ الكفرِ داخلةٌ تحت عمومِ الحديثِ المذكــورِ، ولا أعلمُ لهذا الحديث الآن معارِضًا، فلا كفرَ - والله تعالى أعلم -، هذا في إرادةِ المرءِ أن يعــصيَ أو أن يكفرَ، فكلا الإرادتين معصيةٌ لا كفرٌ، والله تعالى أعلم »[2]. انتهى.

يريدُ ابنُ الشاط أنَّ الدعاء عليه بالكفر لا يُعدُّ كفرًا من الداعي به، إلا إن احتفت قرينة بالداعي تدل عــلى أنه يرضى بالكفر اعتقادًا، أو أنه يرجحه على الإسلام، وأنه يريد انتهاك حرمة ربوبية الله تعالى، والله تعالى أعلم.



(١) رواه مسلم (٢٠١)، ولفظه: « **إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسَها، ما لم يتكلموا، أو يعملوا به** ».

(٢) انظر « إدرار الشروق على أنواء الفروق» لابن الشاط، المطبوع بحاشية الفروق للقرافي (٤/ ٢٩٤).

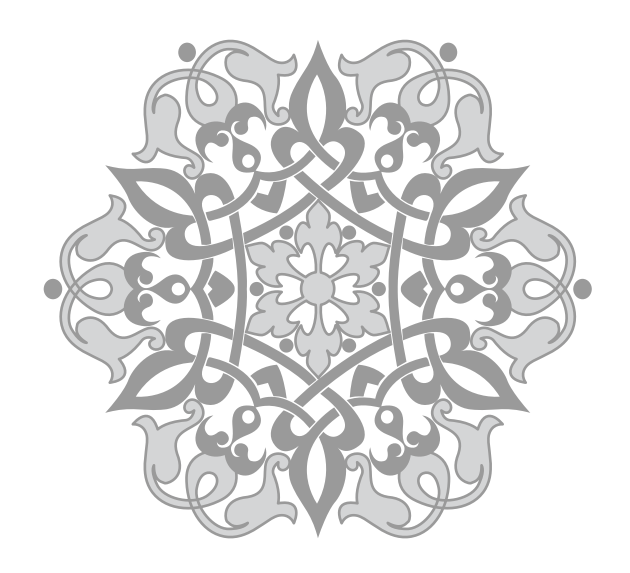


الفصل الثاني

تراجم من تُوفي من العلماء

وهو ساجد

وبين يديه تمهيدٌ في فضل السجود





تمهيد

في فضل السجود

وردت آيـات قرآنية كريمة، وأحاديث نبويةٌ شريفة في فضل السـجود لله سبحانه وتعالى، آتي هنا بعدد يسير منها بين يدي هذا الفصل لتكون مدخلا إليه.

فمـن الآيات الكريمة قول الله جل وعـلا: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٤٨ - ٥٠].

وقـال عز وجـل: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦ - ١٠٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وفي وصف صحابة النبي ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

وغيرُها كثير من الآيات.

وفيما يأتي بعض الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على فضائل السجود مع إشارة لشيء من فقهها:

السجود وسيلة للقرب من الله تعالى: فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»(١).

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢).

والســـجود سببٌ لرفعِ الدرجات، وزيادةِ الحســـنات، وتكفيرِ السيئات: فقد روى معدان بـــن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رســـول الله ﷺ، فقلـــت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة -أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله-، فسكت، ثم سألتُه فسكت.

ثم ســـألته الثالثة فقال: سألتُ عن ذلك رســـولَ الله ﷺ، فقال: «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تســـجد لله سجدةً، إلا رفعك الله بها درجةً، وحطَّ عنك بها خطيئة**».

قال معدان: ثم لقيتُ أبا الدرداء فسألتُه، فقال لي مثلَ ما قال لي ثوبانُ»[١].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يسجد لله سجدةً إلا كَتبَ اللهُ له بها حسنةً، ومحا عنه بها سيئةً، ورَفع له بها درجةً، فاستكثروا من السجود**»[٢].

والسجود سبب للفوز بمرافقة النبي ﷺ في الجنة: فقد قال ربيعةُ بنُ كعبٍ الأســـلميُّ رضي الله تعالى عنه: كنت أَبِيتُ مع رسول الله ﷺ، فأتيتُه بوَضوئِه وحاجتِه، فقال لي: «**سل**»، فقلتُ: أسألك مرافقتك في الجنة.

قال: «**أوَ غيرَ ذلك**»؟

قلتُ: هو ذاك.

(١) أخرجه مسلم (٤٨٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٢٤).

قال: «**فأعِنِّي على نفسك بكثرة السجود**»[١].

كما أن السجود من مواطن استجابة الدعاء: قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كشفَ رسولُ الله ﷺ الستارةَ والناسُ صفوفٌ خلفَ أبي بكر، فقال: « **أيها الناس، إنه لم يَبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحةُ، يراها المسلم أو تُرى له، ألَا وإني نُهيتُ أن أقرأَ القرآنَ راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوعُ فعظّموا فيه الربَّ عز وجل، وأما السجودُ فاجتهدوا في الدعاء، فقَمَن أن يُستجابَ لكم** »[٢].

وقد كان من أدعية النبي ﷺ في سجوده ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ كان يقول في سجوده: «**اللهم اغفر لي ذنبي كُلَّه، دِقَّهُ وجِلَّه، وأولَه وآخرَه، وعلانيتَه وسره**»[٣].

والسجود سبب للشفاعة من عذاب النار: جاء في حديثٍ طويل لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «... **حتى إذا أراد اللهُ رحمةَ من أراد من أهل النار، أمرَ اللهُ الملائكةَ أن يُخرجوا من كان يعبدُ اللهَ، فيُخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرَّم الله على النار أن تأكل أثرَ السجود، فيخرُجون من النار، فكلُّ ابنِ آدم تأكله النارُ إلا أثرَ السجودِ، فيخرجون من النار**

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).
(٢) أخرجه مسلم (٤٧٩)، وقوله (قَمَن): بفتح القاف والميم، وقيل بكسر الميم أيضًا، أي حقيق وجدير.
(٣) رواه مسلم (٤٨٣).

قد امتَحَشــوا، فيُصبُّ عليهــم ماءُ الحيــاة، فينبُتون كما تَنبُت الحبــةُ في حَمِيلِ السَّيْل ...» الحديث[1].

وفي بيان فضل السجود المستفاد من هذا الحديث ومدى كرامة الساجدين على الله تعالى يقول القاضي عيــاض (ت ٥٤٤ هـ) رحمه الله تعالى: « وذُكر في هــذه الأحاديث في المعذَّبين مــن المؤمنين: **(أن النار لا تأكل أثر الســجود)**، وفى الحديث الآخر: **(تحرم صورهم عــلى النّار)**: دليلٌ على أنَّ عذابَ المؤمنين المذنبين بالنار خلافُ عذاب الكافرين، وأنها لا تأتي على جميعهم، ألا تراه كيف قال: «امتَحَشُوا»، وذَكَرَ أنها لا تأكل منهم ما ذُكر، إما إكراما لمواضع السجودِ، ولعِظَم مكانِه من الإيمان والخضوع إلى غايته لله تعالى، أو لكرامة تلك الصورة التــي خُلق آدمُ والبشرُ عليها وفضَّلهم بها من بين ســائرِ خلقِه...»[2] إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

وهل موضع الســجود وأثــرُه الذي لا تأكله النار هو الجبهة؟ أم ســائر الأعضاء السبعة التي يسجد عليها المســلمُ -وهي الجبهة والأنف، واليدان، والقدمان، والركبتان- ؟ أم غيرُ ذلك؟ خلافٌ بين العلماء[3]، ولكن الشــاهدَ منه إكرامُ الله تعالى وتعظيمُه لعبادةِ الســجود، حيــث إن العبد -ولو فعل ما

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦) وهذا لفظه، ومسلم (٢٩٩).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٦٠).

(٣) انظره في فتح الباري لابن حجــر (١١/ ٤٥٦ وما بعدها) في شرح حديث أبي هريرة برقم (٦٥٧٣).

فعـــل- وكان يصلي لله ويســـجد: فإن النـــار لا تأكل منه موضع ســـجوده، نسأل الله من فضله ونعوذ به من عذابه.

والســـجود دليل على صحة الإيمان يوم القيامة وسبب لرؤية الله سبحانه وتعـــالى: فقد أخرج مســـلمٌ في صحيحه[1] عن أبي ســـعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أن ناســـاً في زمنِ رســـولِ الله ﷺ قالوا: يا رسولَ الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال رســـول الله ﷺ: « **نعم** »...، وذكر الحديث الطويل في هول الموقف، وفيه: « **... فيُكشـــفُ عن ساقٍ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أَذن اللهُ له بالســـجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جَعلَ اللهُ ظهرَه طبقةً واحدةً، كلما أراد أن يَسجدَ خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحـــول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا ...** » الحديث.

فبعد قيام المؤمنين من ســـجودهم يرون ربّهم سبحانه وتعالى في المحشر، ولا يقع ذلك للمنافقين، والله تعالى أعلم.

وهذا أوانُ الشروعِ في ذِكر تراجم من تُوفي من العلماء وهو ساجد:

---

(١) حديث رقم (٣٠٢).

أبو ثعلبة الخُشَنِيُّ رضي الله تعالى عنه

(... - ٧٥هـ)

صحابيٌّ جليل من صحابة رسـول الله ﷺ، اسـمه جُرثومُ بن ناشم على أشهر ما قيل، وقد اختُلف في اسمه واسم ابيه اختلافًا كثيراً، وهو من خُشينٍ: بطنٍ من قبيلة قُضاعة القحطانية، كان قومُه أهلَ كتاب، وكان يسـكن معهم بالشام(١).

قال الحافظ ابن حجر: «وكان جماعةٌ من قبائل العرب قد سـكنوا الشام وتنصَّرُوا، منهم آل غسانَ، وتنوخ، وبهز، وبطونٌ من قضاعة منهم بنو خشين آل أبي ثعلبة »(٢).

وكان أبو ثعلبة رضي الله تعالى عنه عالمًا، عاقلا، عابدًا، داعياً إلى الله تعالى، شجاعًا، كريمَ الأخلاق والسجايا، مُوَقَّرًا في أهله وقومه.

وله أخٌ اسمه عمرو بن جرهمٍ أسلمَ في عهد النبي ﷺ.

---

(١) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٢٩)، (٧/ ٤١٦)، التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٢٥٠)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٢٩)، الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٦١٨)، تهذيب الكـمال (٣٣/ ١٦٧)، تاريخ الإسـلام للذهبي (٢/ ٨٩٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٦٧)، البداية والنهاية (٩/ ١١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٥٠)، وغيرها كثير.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٦٠٦).

خبر إسلامه رضي الله تعالى عنه :

أسلم شـــابًّا رضي الله تعالى عنه في السنة السادســـة للهجرة، فشهِد بيعةَ الرضوان وبايع تحت الشـــجرة، وفي أول السنة الســـابعة خرجَ مع النبي ﷺ إلى غزوة خيبر فشـــهدها كذلك، وفي الســـنة الثامنة أرسله النبي ﷺ إلى قومه لدعوتهم إلى الإســـلام، وضرب له بسهم يوم حُنين، فأسلم قومه ووفدوا على النبـــي ﷺ في المدينة، ونزلوا عند أبي ثعلبة وكانوا ســـبعة رجال، وقيل بضعة عشر رجلا، رضي الله تعالى عنهم[١].

ثناءُ النبي ﷺ عليه وبعضُ أخباره معه:

حرص أبو ثعلبة رضي الله تعالى عنه على تعلّم أحكام دينه حتى صار من زمرة العلماء[٢]، وروى عن النبي ﷺ وعـــن بعض كبار الصحابة كأبي عبيدة عامر ابن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم، وروى عنه جمعٌ من التابعين[٣].

(١) وقـــع اضطراب في المصادر في وقت إســـلامه رضي الله تعالى عنه، وكذا اضطراب في وقت إرســـال النبي ﷺ له إلى قومه، هل قبل خيبر أم قبـــل حنين (مع احتمال وقوع تـــوارد على تصحيف حنين إلى خيبر في بعض المصادر)، وقد رجّحت ما ذكرتُه أعلاه لما ذكره غيرُ واحد أنه شـــهد بيعةَ الرضوان، ثم ما جاء بصريح قوله أنه شـــهد خيبرا مع النبي ﷺ، كما في مغازي الواقدي (٢/ ٦٦٤) ومسند أحمد (ح ١٧٧٤١) ومعجم الطـــبراني الكبير (ح ٥٧٤ ، ٥٧٧)، وهذا ما ذهب إليه ابنُ الكلبي في جمهرته والإمامُ الحافظ الدارقطني (انظر المؤتلف والمختلف له ٢/ ٦٨٠)، وكذا أبو بكر ابن البرقاني (تاريخ دمشق ٦٦/ ٩٥)، والله تعالى أعلم.

(٢) وقد ذكره الحافظ ابن حبان رحمه الله تعالى ضمن علماء الشـــام في كتابه «مشاهير علماء الأمصار» (ص:٨٨).

(٣) انظر قائمة بأسمائهم في تهذيب الكمال للمزي (٣٣/ ١٦٧-١٦٨).

وكان مما يُمّيزه في طلبه العلمَ أنه كان حريصًا على تعلم المسائل التي يكثر وقوعهـــا في بلده وفي غالب أيامه، وهذه من صفــات الصادقين الربانيين[١]، ولذا كان النبي ﷺ يتفرس فيه الخيرَ، ويجيبُه عن أسئلته، ويُبشّره، ويُشجّعه.

ونذكر هنا مثالاً على مجلس له مع النبي ﷺ سأل فيه أبو ثعلبة أسئلةً كثيرةً، وأجابه عنها النبيُّ ﷺ، وأثنى عليه أمام الصحابة، وكان حديثا طويلا اختصره المحدثون ورووه في عدة مواضع، منها:

عن أبي ثعلبة الخشـــني رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ، فصعَّد فيَّ النظر، ثم صوَّبه[٢]، فقال: «**نُوَيبِتة**»، قلتُ: يا رســـول الله، نُوَيبتة خير أو نويبتة شر؟ قال: «**بل نُوَيبِتة خير**»، قلت: يا رســـول الله، إنّا في أرض صيد، فأُرســـل كلبي المُعَلَّمَ، فمنه ما أُدركُ ذكاتَه، ومنه ما لا أدرك ذكاتَه، وأرمي بسهمي فمنه ما أُدركُ ذكاتَــه ومنه ما لا أُدركُ ذكاتَه، فقال رســـول الله ﷺ: « **كُلْ ما ردّت عليك يدُك، وقوسُك، وكلبُك المُعَلَّم، ذكيّا وغير ذكيّ** »[٣].

قال ابن الأثير: «النُّوَيْبِتَةُ: تصغير نابِتة، يقال: نَبَتَت لهم نابِتةٌ: أي نشأ فيهم صغارٌ لَحِقوا الكبارَ وصارُوا زيادةً في العَدد»[٤].

---

(١) وقد سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى: ما تقول يا مالك في طلب العلم؟ فقال: حسن جميل، ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه. (انظر إحياء علوم الدين ١/ ٢٧).

(٢) أي نظر إلى أعلاه وأسفله يتأمله. (انظر النهاية لابن الأثير ٣/ ٣٠).

(٣) مسند أحمد (١٧٧٤٨)، وقال مخُرجوه: إسناده صحيح.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٠).

فهنـــا تفرَّسَ فيه النبي ﷺ أنه ســـيلحق بالكبار مـــن أصحابه أهلِ العلمِ والفضل، وبشّره بذلك، وفيه تشجيع له على طلب العلم.

وفي روايةٍ أن أبا ثعلبة رضي الله تعالى عنه قال أولاً: «يا رسول الله، اكتب لي بأرض كذا وكذا - لأرض بالشـــام لم يَظهَر عليها النبيُّ ﷺ حينئذ -، فقال النبي ﷺ: « **ألا تســـمعون إلى ما يقول هـــذا ؟** »، فقال أبو ثعلبة: والذي نفسي بيده لتظهرن عليها، قال: **فكتب له بها،** ... »[1] ثم سأل أسئلته الفقهية.

وهـــذا يدلُّ على فطنته وفهمه وعلمه، ويدل على يقينه بما بشّر به النبي ﷺ من الغيبيات، وقد أقرَّهُ النبي ﷺ على فهمه هذا بفتح بلاد الشام، بل نوّه النبي ﷺ بهذا الفهمِ ونبّه عليه الصحابةَ رضي الله عنهم.

وجاء في رواية أخرى لنفس الحديث إجابةٌ للنبي ﷺ عن بعض أســـئلته تدل على كمال إيمان أبي ثعلبة رضي الله عنه: قال مُســـلم بن مِشْكَم: سمعتُ أبا ثعلبة الخُشـــني يقول: قلت: يا رسول الله، أخبرني بما يحل لي ويحرم عليّ، قال: فَصَعّد النبي ﷺ وصَوَّب فيَّ النظرَ، فقال: « **البرُّ ما سكنَت إليه النفسُ، واطمأن إليه القلبُ، والإثمُ ما لم تســـكن إليه النفسُ، ولم يطمئنَّ إليه القلبُ، وإن أفتاك المفتون** »، وقال: « **لا تقرَب لحم الحمار الأهلي، ولا ذا ناب من السباع** »[2].

فهذا التوجيه من النبـــي ﷺ لأبي ثعلبة رضي الله عنه يدل على كمال إيمان أبي ثعلبـــة، حيث إن هذا الخطاب ليس موجها لكل المســـلمين، وليس إلا في

(١) مسند أحمد (١٧٧٣٧).

(٢) مسند أحمد (١٧٧٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح.

المســائل التي لم يرد فيها نصّ أو حكم في الشريعة، فيعلَمُها الأتقياء الربانيون من العلماء، قال المناوي (ت ١٠٣١ هـ) رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: « وذلــك لأن على قلبِ المؤمنِ نورًا يَتّقِدُ، فــإذا وَرَدَ عليه الحقُّ الْتَقى هو ونورُ القلــب، فامتَزجــا وائتَلَفا، فاطمئن القلــبُ وهــشّ، وإذا ورد عليه الباطلُ نفرَ نــورُ القلبِ ولم يُمازِجْه، فاضطرب القلبُ، وإنــما ذَكَر طمأنينةَ النفسِ مع القلبِ إيذاناً بأن الكلام في نفوسٍ ماتت منها الشــهواتُ وزالت عنها حجابُ الظلمات، فالنفس المرتكبةُ[1] في الكُدوراتِ المحفوفةُ بحُجُبِ اللَّذاتِ تطمئن إلى الإثمِ والجهلِ وتسكنُ إليه، ويستغرِقُها الشرُّ والباطلُ، فأَعلَمَ بالجمع بينهما أن الكلام في نفسٍ رَضِيَتْ وتَمَرَّنَتْ حتى تَجَلَّت بأنوار اليقين »[2].

بعض مناقبه رضي الله تعالى عنه:

وبعد وفاة النبي ﷺ سكن أبو ثعلبة رضي الله تعالى عنه الشامَ، وتابع فيها مســيرة العلم والتعليم، فكان إذا لقي من هــو أعلم منه طلب العلم على يديه كأبي عبيدة ابــن الجراح ومعاذ بن جبل، وإذا لقي مــن كان مثلَه تذاكر العلم معه، مثــل التابعي كعب الأحبار[3]، ويحرص على إفادة المتعلمين مما عنده من الأحاديث والأحكام.

---

(١) كذا في المصدر ! ولعلها تصحيف من: « المرتكسة»، والله تعالى أعلم.

(٢) فيض القدير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (٣/ ٢١٨).

(٣) انظر قصته معه والمحاورة العلمية التي جرت بينهما في «تاريخ دمشــق» (٦٦/ ١٠٣) و«تهذيب الكــمال» (٣٣/ ١٧٣) وهي دالة على عمق فهــم أبي ثعلبة رضي الله عنه وفقهه في الدين.

وفي هذه الأخلاق العلمية الرفيعة يقول التابعي الجليل القدوة أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله تعالى: « كان العالم فيما مضى إذا لقي من هو فوقه في العلم كان يوم غنيمة، أو من هو مثله ذاكره، أو من هو دونه لم يَزْهُ عليه، ثم كان هذا الزمان أن صار الرجل إذا لقي من فوقه انقطع عنه حتى لا يرى الناسُ أن به حاجةً إليه، وإذا لقي من هو مثلَه لم يُذاكرْه، ويَزهُو على من هو دونه»[١].

كما حرص رضي الله تعالى عنه على نشر الإسلام، وعلى الدفاع عنه ضد من يعتدي على حرماته، قال أبو زرعة الدمشقي: «غزا أبو ثعلبة القسطنطينيةَ مع يزيد بن معاوية سنة خمس وخمسين»[٢]، وفي هذا منقبة له؛ لما جاء في صحيح البخاري من حديث أم حرام رضي الله تعالى عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: « **أولُ جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا** »، قالت أم حرام: قلتُ: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: «**أنتِ فيهم**»، ثم قال النبي ﷺ: « **أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم** »، فقلتُ: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «**لا**»[٣].

ومدينة قيصر هي القسطنطينية، وأول جيش غزاها - الذي بشّرَ النبيُّ ﷺ بأنه مغفور لهم - كان هذا الجيشَ الذي شارك فيه أبو ثعلبة الخشني، كما شارك فيه أبو أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنهما ومات فيها[٤].

---

(١) الذخيرة للقرافي (١/ ٥١).

(٢) انظر تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني (ص ٣٧)، وتاريخ دمشق (٦٦/ ١٠٣-١٠٤).

(٣) صحيح البخاري (٢٩٢٤).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٠٢- ١٠٣)، وقال فيه بخصوص دخول يزيد في عموم هذا الحديث « قال المهلب: في هذا الحديث منقبةٌ لمعاوية لأنه أول من غزا البحر، ومنقبةٌ لولدِه يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر، وتعقبه ابن التين وابن المُنَيّر بما =

قصة وفاته رضي الله تعالى عنه:

كان أبو ثعلبة رضي الله تعالى عنه من عُبّاد الصحابة[(١)]، « وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء، فيتفكر، ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عز وجل »[(٢)].

وقال الوليد بن مسلم: أن أبا ثعلبة رضي الله تعالى عنه كان يقول: « إني لأرجو أن لا يخنُقني الله عز وجل كما يخنُقكم»[(٣)]، قال: « فبينما هو في صرحة داره إذ نادى، يا عبد الرحمن! - وقد قُتل عبد الرحمن مع رسول الله ﷺ -، فلما أحس بالموت أتى مسجد بيته، **فخر ساجداً، فمات وهو ساجد** »[(٤)].

= حاصلــه أنه لا يلــزم من دخوله في ذلك العموم أن لا يخـرج بدليل خاص؛ إذ لا يختلف أهل العلم أن قوله ﷺ مغفور لهم مشروط بأن يكونوا من أهل المغفرة، حتى لو ارتد واحد ممن غزاها بعد ذلك لم يدخل في ذلك العموم اتفاقا، فدل على أن المراد: مغفورٌ لمن وُجد شرطُ المغفرةِ فيه منهم ...».ا.هـ.

(١) قال أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩): « وأبو ثعلبة الخشــني من عباد الصحابة، له في جملة أهل الصفة ذِكــر ومدخل»، قلت: لعله كان أولَ الأمر مع أهل الصفة ثم وسّــع الله عليه، حيث تقدم أن وفد بني خُشين عندما وفدوا على النبي ﷺ في المدينة نزلوا عنده، وهذا يقتضي أنه كان له بيت يسكنه، والله أعلم.

(٢) البداية والنهاية لا بن كثير (٩/ ١١).

(٣) قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٥٧): «وقد كان بعض الســلف يستحب أن يُجهَدَ عند الموت، كما قال عمر بن عبد العزيز: ما أُحب أن تُهوّن عليَّ سكراتُ الموت، إنه لآخر ما يُكَفّر به عن المؤمن. وقال النخعي: كانوا يستحبون أن يُجهَدوا عند الموت. وكان بعضهم يَخشــى من تشديد الموت أن يُفتن، وإذا أراد الله أن يهون على العبد الموتَ هوَّنه عليه ... » إلخ.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ٣١)، تاريخ دمشــق (٦٦/ ١٠٤)، تهذيب =

وقال التابعي الثقة – تلميذ أبي ثعلبة – أبو الزاهرية الحمصيُّ (ت ١٠٠ هـ) رحمه الله تعالى: « سـمعتُ أبا ثعلبة الخشني يقول: إني لأرجو أن لا يَخْنُقني الله عـز وجل كما أراكم تُخْنَقون عند الموت. قـال: فبينما هو يصلي في جوف الليل **قُبض وهو ساجد**، فرأتْ ابنتهُ أن أباها قد مات، فاستيقظت فزعةً، فنادت أمَّها أين أبي؟ قالت: في مصلاه، فنادته فلم يُجبها، فأيقظته **فوجدته ساجداً**، فحركته فوقع لجنبه ميتاً »[١].

قال جماعة من العلماء: مات أبو ثعلبة الخشـني رضي الله تعالى عنه سـنة خمس وسبعين بالشام، وذلك في ولاية عبد الملك بن مروان[٢].

= الكمال (٣٣/ ١٧٤) – ووقع في الخبر عنده تصحيف –، وقال المزي: هذا مرسل.

وعبد الرحمن هو: عبد الرحمن بن لاشر، أخو أبي ثعلبة الخشني رضي الله تعالى عنهما، وقد توفي في عهد رسول الله ﷺ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٣٨٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢٩٨).

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٣٠)، تاريخ دمشق (٦٦/ ١٠٤).

(٢) انظر تاريخ دمشـق (٦٦/ ١٠٤)، تهذيب الكـمال (٣٣/ ١٧٤)، وقيل غيرُ ذلك في وفاته.

موسى بن أبي موسى الأشعري

(...- ٢٠هـ)

هو موسى ابن الصحابي الجليل أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري[(١)]، وأمه هي أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب[(٢)]، وقد مات الفضلُ بنُ العباس شابًّا، و «لم يترك ولدا إلا أم كلثوم، تزوجها الحسن بن علي رضي الله عنهما، ثم فارقها، فتزوجها أبو موسى الأشعري»[(٣)]، فولدت له موسى.

وقد عده ضمن الصحابة الذين دخلوا أصبهان: الحافظ أبو الشَّيخ الأصبهانيُّ، والحافظ أبو نُعيم الأصبهاني، ونقله الحافظ مُغلطاي عن أبي نُعيم ولم يتعقبه[(٤)]، ويذكره باقي العلماء في التابعين.

قال الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني: «وكان لأبي موسى الأشعري خمسةٌ من البنين إبراهيم، وأبو بردة، وأبو بكر، وموسى، ومحمدٌ بنو أبي موسى، وأبو بردة أكثرهم رواية عن أبي موسى ...»[(٥)].

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٢٦٩)، التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٢٨٧)، الثقات لابن حبان (٥/ ٤٠٣)، تاريخ أصبهان (١/ ٨٦)، تهذيب الكمال (٢٩/ ١٥٥)، إكمال تهذيب الكمال (١٢/ ٣٨)، وغيرها.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٢٦٩).

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١٢٧٠).

(٤) طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ (١/ ٢٩٢)، تاريخ أصبهان لأبي نعيم (١/ ٦٨، ٨٦)، إكمال تهذيب الكمال لمُغُلطاي (١٢/ ٣٨).

(٥) ثم روى أبو الشيخ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «ولد لي غلام فأتيتُ به النبي =

وقد حرص أبو موســى رضي الله تعالى عنه على تنشــئة أبنائه على العلم والخير، فكان ابنه أبو بردة عالماً من أوعية العلم، قاضياً محدِّثاً ثقةً[١]، وأبو بكر أخوه كان عالما كذلك وتولى قضاء الكوفة وكان محدِّثاً ثقةً[٢].

أما موســى فيظهر أنه اشتغل بالعلم، ثم روى الحديث عن أبيه وعن عمّ والدته عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وروى عنه أسيد بن أبي أسيد ومقاتل بن بشير العجلي[٣]، وكان ممن ساهم بعد ذلك في نشر الإسلام في بلاد المشرق حيث رافق أباه في فتح أصبهان.

قصة وفاته رحمه الله تعالى:

توجه موسى بن أبي موسى الأشعري مع أبيه رضي الله عنهما إلى أصبهان للمشاركة في فتحها، فتُوُفي فيها مقتولاً، وقد كان هذا الفتحُ آخرَ سنة عشرين، وقيل: إحدى وعشرين للهجرة[٤]، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

روى أبو الشيخ بسنده إلى مرداس بن نمير عن أبيه قال: «كنت من حرس

= ﷺ، فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليّ». طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٢٤٨-٢٤٩).

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥/ ٥).

(٢) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ١٨٥)

(٣) تهذيب الكمال للمزي (٢٩/ ١٥٥).

(٤) تاريخ أصبهان (١/ ٤٠).

عبد الله بن قيس [هو أبو موسى الأشعري] حين قدم أصبهان، فقام على شَرَف الحِصن عِلْجٌ فرمى ابنه [هو موسى] بسهم، فغُرِز السهمُ في عَجُزه، **فاستُشهد وهو ساجد**، وجزع عليه أبوه جزعاً شديداً حتى أغمي عليه، فأفاق، وظفرنا بالعلج فقتلناه، ثم نَزع عن ابنه الخف، وصلى عليه، ودفنه بكَلْمِه وثيابه، وسوّى قبره ...»[1].

ولم تسعفنا المصادر بأخبار أخرى عنه، رحمه الله تعالى ورضي عنه وتقبله في الصالحين، فقد مات **شهيداً مصلِّياً ساجداً**.

(١) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها (١/ ٢٣٩)، تاريخ أصبهان لأبي نعيم (١/ ٨٧).

مجاهد بن جبر

(٢١ ـ ١٠٢هـ أو بعدها)

الإمام التابعي الجليل، شـيخ القرّاء والمفسِّرين، الفقيه، المحدث الحافظ الثقة، الزاهد العابد الورع الحكيم، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي[1].

أخذ علمه عن جمع مـن الصحابة كأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر الأنصاري، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

وكان أكثرُ اسـتفادته من حبر[2] الأمة عبد الله بن عباس، فلازمه سنين، وأخذ عنه علوم القرآن قراءةً وتفسـيرًا، والفقهَ والحديثَ، حتى قال يحيى بن معين: مجاهد بن جبر هو صاحب ابن عباس.

ويقول مجاهد بن جبر: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة.

وقال أيضاً: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أَقِفُه على كل آية أسأله فيمَ نزلت؟ وكيف كانت؟[3].

---

(١) اقتبسـت نصوص ترجمته من «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧/ ١٧-٤٤)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٤٤٩-٤٥٧)، وفي هذا الأخير قائمةٌ بمصادر ترجمته.

(٢) الحَـبر: اختلف أهل اللغة في ضبط الحاء منها، فبعضهم أن الأفصحَ كسُرها، وعند غيرِهم بالفتح لا غير، وبعضُهم جـوّز الوجهين، حتى إن الأصمعيَّ رحمه الله تعالى قال: «لا أدري أهو الحَبر أو الحِبر للرجل العالم»!، انظر «لسـان العرب» لابن منظور (٤/ ١٥٧-١٥٨).

(٣) فيظهر - والله تعالى أعلم - أن العَرَضات الثلاثين كانت لختم القرآن قراءةً وتحقيقاً =

وقـــد أكبّ رحمه الله تعالى على القرآن تعلما وتعليما، حتى قال عن نفســـه: « استفرغَ علميَ القرآنُ ».

وقال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك بن مزاحم.

وقال تلميذ هؤلاء الإمام الفقيه خُصيــف بن عبد الرحمن: كان أعلَمَهم بالتفسير مجاهدٌ.

وقال التابعي قتادة بن دعامة السدوسي: إن أعلمَ من بقي بالحلال والحرام الزهريُّ، وأعلمَ من بقي بالقرآن مجاهدٌ -يعني التفسير-.

وقـــال إمام مكة في زمانـــه عبدُ الملك بن جريج: لَأن أكونَ ســـمعتُ من مجاهد فأقولَ سمعتُ مجاهدًا أحبُّ إليَّ من أهلي ومالي.

قال مجاهد: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كثيرُ نيّة، ثم رزق اللهُ النيةَ بعدُ.

وقال ســـلمة بن كُهيل: مـــا رأيت أحدًا يريد بعلمه وجـــهَ الله إلا هؤلاء الثلاثة: عطاء، وطاووس، ومجاهد.

ولمّا بلغ مجاهدٌ هذه المرتبةَ العاليةَ من الإخلاص والصدق والعلم الغزير نال احـــترام الصحابة رضي الله عنهم، فكانوا يُجلّونـــه ويتواضعون له تقديرا لمكانته في العلم.

= ومدارسةً عامة، أمّا العرَضات الثلاثُ تلك فكانت لما سبق مع زيادة تحقيق وتحرير لكل آية تفسيرًا وأسبابًا وعلوماً.

قال مجاهد: صحبتُ ابنَ عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني.

وقال أيضًا: كنت أصحبُ ابنَ عمر في السفر، فإذا أردتُ أن أركبَ يأتيني فيمسك رِكابي، فإذا ركبتُ سوّى عليّ ثيابي. قال مجاهد: فجاءني مرة، فكأني كرهتُ ذلك، فقال: يا مجاهد، إنك ضيق الخلُق.

من أقواله في التفسير والحِكم والفوائد[1]:

قال مجاهد: إن الله تعالى ليُصلحُ بصلاحِ العبدِ ولدَه وولدَ ولدِه.

وقال: إذا خرج الرجل [أي من بيته] حضره الشيطان، فإذا قال بسم الله، قيل: هُديت، فإذا قال: توكلت على الله، قيل: كُفيت، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قيل: حُفظت، فيقال: كيف يكون بمن قد هُدي وكُفي وحُفظ؟

وقال في قوله تعالى ﴿ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [النور: ٥٥]: لا يحبون غيري.

وعن طلحة بن مصرف عن مجاهد قال: إذا لقي الرجلُ الرجلَ فضحك في وجهه ذابت عنهم الذنوبُ كما يَنثُرُ الريحُ الورقَ اليابسَ عن الشجر، فقال طلحة: ويحك إن هذا من العمل يسير! فقال: أما سمعت قوله تعالى ﴿ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ [الأنفال: ٦٣]؟

---

(١) انظر هذه الأقوالَ كلَّها في ترجمته من «حلية الأولياء» للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (٣/ ٢٨٤-٣٠٠).

وعن عبدة بن أبي لبابة، عن مجاهد، قال: ما التقى مسلمان فتصافحا إلا غفر لهما ذنوبهما قبل أن يتفرقا -أو تحاتت عنهما ذنوبهما-، قلت: إن ذلك يسير! قال: لا تقل ذلك، إن الله عز وجل يقول﴿ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ ﴾[الأنفال: ٦٣]، قال: فكان مجاهدٌ أفقهَ مني.

وقال أيضًا: لم يَرَ إبليسُ ابنَ آدم ساجدا قط إلا الْتطم ودعا بالويل، ثم يقول: أُمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فلم أسجد فلي النار.

وفاته:

قال الحافظ أبو نُعَيم الفضل بنُ دُكَين: **مات مجاهد في ثنتين ومائة وهو ساجد. رحمه الله تعالى**[١].

وقال ابن حِبّان: « كان مولده سنة إحدى وعشرين، وكان من العُبّاد والمتجردين في الزهاد، مع الفقه والورع، **مات بمكة وهو ساجد** سنة ثنتين أو ثلاث ومائة »[٢].

(١) تاريخ دمشق (٥٧/ ٤٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٥).

(٢) مشاهير علماء الأمصار (ص ١٣٣).

جعفر بن إياس

(... ـ ١٢٤هـ، وقيل بعدها)

هو أبو بِشر، جعفر بن أبي وحشيّة إياسِ اليَشْكُرِيُّ، البصري ثم الواسطي، أحدُ الحفاظ والأئمةِ الكبار[١].

قال الذهبي: وكان من كبار العلماء، معدودٌ في التابعين، فإنه روى عن عَبّاد بنِ شُرَحبيل اليشكري -أحدِ الصحابةِ- حديثاً في السنن سمعه[٢].

حدّث عن سعيد بن جبير وكان من أثبت الناس فيه، وعن الشعبي، وطاووس، ومجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرِهم.

وروى عنه: الأعمش، وشعبة، وأبو عوانة، وغيرُهم.

وكان من ثقات المحدثين، وخرّج حديثَه البخاريُّ ومسلمٌ وأصحابُ السنن.

---

(١) اقتبست ترجمته من: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٥)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٢)، الوافي بالوفيات للصفدي (١١/ ٧٧)، تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص ١٣٩).

(٢) سنن أبي داود (٢٦٢٠)، سنن النسائي (٥٤٠٩)، سنن ابن ماجه (٢٢٩٨)، وانظر ترجمة عبّاد رضي الله عنه في «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ ابن حجر (٣/ ٤٩٩)، وقد ذكره في القسم الأول.

قصة وفاته :

قال نوح بن حبيب: **كان أبو بِشر ساجدًا خلف المقام حين مات رحمه الله،** مات سنة أربع وعشرين ومائة.

وقال جماعة من العلماء: توفي سنة خمس وعشرين ومائة، وقيل غيرُ ذلك.

رحمه الله تعالى ورضي عنه.

صفوان بن سُلَيْم

(٦٠ ـ ١٣٢هـ)

التابعي الجليل، أحد العُبّاد الأخيـــار، والأئمةِ الفقهاء المحدِّثين الأبرار، من فقهاء المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام، ومن شيوخ الإمام مالك بن أنس[١].

سيرته العطرة ملأت كتب التراجم والتاريخ، فأقتصرُ على ما ذكره الحافظ الذهبي من ترجمته في «ســير أعلام النبلاء» منتخِباً من كلامه ما يناسب المقام هنا، ثم أضيف إليه بعض ما جاء في «تاريخ دمشق» لابن عساكر في ترجمته.

(١) وكان صفــوانُ يرى في تلميذه مالكِ بنِ أنسٍ آثارَ التقوى والفراســة، فانتفعَ به، قال أبو الحســن المطالبي: « ســأل مالكاً صفوانُ بنُ سليم -وهو أحد شيوخ مالك الجِلة الفضلاء النقاد- عــن رؤيا رآها في النوم، ومالكٌ إذ ذاك غلامٌ صغيرُ الســن، فقال له: ومثلُك يســأل مثلي ؟ فقال له: وما عليك يــا ابن أخي، رأيت كأنّي أنظرُ في مرآة. فقــال له مالك: أنت تنظر في أمر آخرتك وما يقربك إلى ربك. فقال له صفوان: أنت اليوم مُويلكٌ، ولئن بقيتَ لتكونن مالكًا، اتق الله يا مالك إذا كنت مالك، وإلا فأنت هالك.

قال مالك: وكان قبلُ يدعوني مُوَيلِك، فلما ســألني قال يا أبا عبد الله، وهو أولُ يومٍ كنّاني فيه.

قال المطالبي: وفي قوله (وما عليك) إشــارةٌ إلى أنه كان عنده مســتأهلاً لجواب ما سأل عنه، ولو لم يكن عنده كذلك لما سأله، ولا استحلّ لنفسه ولا له الغوصَ في علمِ الغيبِ والتلاعبِ بالنبوءة ». (انظر ترتيب المدارك ١/ ١٤٥).

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي رحمه الله تعالى[١]:

« صفوان بنُ سُلَيْم، القرشي الزهري، المدني، الإمام الثقة الحافظ، الفقيه، أبو عبد الله – وقيل: أبو الحارث –، مولى حُميد بن عبد الرحمن بن عوف.

حدث عن: ابن عمر، وأنس، وأم سعد بنت عمرو الجُمَحِيّة، وجابر بن عبد الله.

وعن: حُميد – مولاه – وعطاء بن يسار، ونافع بن جبير بن مطعم، وطاووس، وسعيد بن المسيب، ...، وخلقٍ سواهم.

وعنه: يزيد بن أبي حبيب، وموسى بن عقبة، وابن جريج، وابن عجلان، ومالك، والليث، وعبد العزيز الدراوردي، والسفيانان، وخلقٌ كثير، آخرهم وفاةً: أبو ضمرة الليثي.

قال ابن سعد: كان ثقةً، كثير الحديث، عابداً.

وقال علي بن المديني، وأبو حاتم، والعجلي، والنسائي: ثقة.

وعن أحمد بن حنبل، قال: من الثقات، يُستشفى بحديثه، وينزل القطر من السماء بذكره.

وروى عبد الله بن أحمد، عن أبيه: ثقةٌ، من خيار عباد الله الصالحين.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٤ – ٣٦٩) باختصار وتصرف.

وقال يعقوب بن شيبة: ثبت، ثقة، مشهور بالعبادة، سمعت علي بن عبد الله يقول:

كان صفوانُ بنُ سليم يُصلي على السطح في الليلة الباردة لئلا يجيئه النوم.

وقال مالك بن أنس: كان صفوان بن سليم يصلي في الشتاء في السطح، وفي الصيف في بطن البيت، يتيقّظ بالحر والبرد، حتى يصبح، ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم، وإنه لَتَرِمُ رجلاه حتى يعود كالسِّقْط من قيام الليل، ويظهر فيه عروقٌ خُضرٌ(١).

وروى: محمد بن يزيد الآدمي، عن أنس بن عياض، قال: رأيتُ صفوانَ ابن سليم، ولو قيل له: غدًا القيامة، ما كان عنده مزيدٌ على ما هو عليه من العبادة.

(١) وقد ذكر أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى أن صفوان بن سليم كان من الأقوياء في العبادة، وكان ممن يقوم الليل كُلّه، قال رحمه الله تعالى في «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٥٩):

«اعلم أنَّ إحياءَ الليلِ من حيث المقدارُ له سبعُ مراتب، الأولى: إحياءُ كُلِّ الليل، وهذا شأنُ الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الليل، وتلذّذوا بمناجاته، وصار ذلك غذاءً لهم، وحياةً لقلوبهم، فلم يَتْعَبُوا بطول القيام، ورَدُّوا المنامَ إلى النهار، وفي وقت اشتغال الناس، وقد كان ذلك طريقُ جماعةٍ من السلف، كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء، حكى أبو طالب المكي: أن ذلك حُكي على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين، وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة، قال: منهم سعيد بن المسيب، وصفوان بن سليم المدنيان، وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان، ...» إلى آخر كلامه، وسرد جماعة من السلف، ثم ذكر بقية المراتب السبع، فانظره هناك في آخر الكتاب العاشر من ربع العبادات إن شئت.

وقال عبد العزيـز بن أبي حازم: عادَلَني صفوانُ بنُ سـليم إلى مكة، فما وضع جنبه في المحمل حتى رجع.

قال سـفيان بن عيينة: حج صفوان، فذهبتُ بمِنىً، فسـألت عنه، فقيل لي: إذا دخلتَ مسـجد الخِيف فأْتِ المنارةَ، فانظر أمامها قليلا شيخًا إذا رأيتَه علمتَ أنه يخشى الله -تعالى- فهو صفوانُ بنُ سُليم.

فما سألتُ عنه أحدا حتى جئت كما قالوا، فإذا أنا بشيخ كما رأيته، علمتُ أنه يخشى الله، فجلستُ إليه، فقلت: أنت صفوان بن سليم؟ قال: نعم.

قال: وحجَّ صفوان بن سـليم وليس معه إلا سـبعة دنانير، فاشترى بها بدنة، فقيل له في ذلك، فقال: إني سمعتُ اللهَ يقول: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦].

وروى: كثـير بن يحيى عن أبيه، قال: قدم سـليمان بن عبد الملك المدينةَ، وعمـرُ بن عبد العزيز عاملٌ عليها، قال: فصـلى بالناس بالظهرِ، ثم فتح باب المقصورة، واستند إلى المحراب، واستقبل الناسَ بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم، فقال لعمر: من هذا؟ ما رأيت أحسن سَمْتاً منه! قال: صفوان.

قال: يا غلام، كيس فيه خمسـمائة دينار، فأتاه به، فقال لخادمه: اذهب بها إلى ذلك القائم.

فأتى، حتى جلس إلى صفوان وهو يصلي، ثم سـلم، فأقبل عليه، فقال:

ما حاجتك؟ قال: يقول أمير المؤمنين: استعن بهذه على زمانك وعيالك، فقال صفوان: لستُ الذي أرسلتَ إليه.

قال: ألستَ صفوانَ بنَ سليم؟ قال: بلى.

قال: فإليك أرسلتُ.

قال: اذهب، فاستثبت.

فولى الغلام، وأخذ صفوانُ نعليه، وخرج، فلم يُر بها، حتى خرج سليمان من المدينة.

وقال المنكدر بن محمد: كُنّا مع صفوان بن سليم في جنازة، وفيها أبي وأبو حازم ... ، وذكر نفرًا من العباد، فلما صُلِّيَ عليها، قال صفوان: أما هذا، فقد انقطعت عنه أعماله، واحتاج إلى دعاء من خلف بعده. قال: فأبكى -والله- القوم جميعا.

وعن أبي زُهرة مولى بني أمية قال: سمعتُ صفوانَ بنَ سُليم يقول: في الموت راحة للمؤمن من شدائد الدنيا، وإن كان ذا غُصص وكرب، ثم ذرفت عيناه.

وقال محمد بن صالح التمار: كان صفوان بن سليم يأتي البقيعَ في الأيام، فيمُرّ بي، فاتبعته ذات يوم، وقلت: لأنظرن ما يصنع.

فقنع رأسه[١]، وجلس إلى قبر منها، فلم يزل يبكي حتى رحمتُه، وظننتُ أنه قبرُ بعضِ أهله، ومرّ بي مرة أخرى، فاتبعتُه، فقعد إلى جنب قبرٍ غيره، ففعل مثل ذلك.

فذكرتُ ذلك لمحمد بن المنكدر، وقلت: إنما ظننت أنه قبر بعض أهله، فقال محمد: كلهم أهله وإخوته، إنما هو رجل يحرك قلبَه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة.

قال: ثم جعل محمد يمرُّ بي، فيأتي البقيع، فسلمت عليه ذات يوم، فقال: أما نفعك موعظة صفوان؟

فظننتُ أنه انتفع بما ألقيتُ إليه منها ». انتهى النقلُ عن الذهبي.

وقد جاء في ترجمته أيضًا أخبارٌ أخرى تدُل على حِلمِه ورفيعِ خُلُقه وعبادته، منها ما أخرجه الحافظ ابنُ عساكر في ترجمته عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال:

رأيتُ صفوانَ بنَ سُليم يعتمد في الصلاة على عصا، فكان يُسمى هو وعصاه: الزوج، فصلّى إلى جنبه غلامٌ من بني عامر بن لؤي، فقال له: لا تزحمني

(١) «أقنع رأسه وعنقه: رفعه وشَخَصَ ببصره نحو الشيء لا يصرفه عنه. وفي التنزيل: ﴿مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، المُقْنِع: الذي يرفع رأسه ينظر في ذل، والإقناع: رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع ». قاله ابن منظور في لسان العرب (٨/ ٢٩٩).

بعصاك فأكسرها على رأسك! قال: فطَرَحها صفوانُ بنُ سليم في منزله، فقيل له فيها، فقال: إنما كنتُ أحمِلُها للخير، والآن أنا أخاف من الشر[١].

وعن أبي علقمة المديني قال: كان صفوانُ بنُ سليم لا يكادُ يخرج من مسجد النبي ﷺ، فإذا أراد أن يخرُج بكى، وقال: أخاف أن لا أعود إليه[٢].

وقال سفيان بن عيينة: وأُتِيَ رجلٌ مِن أهل الشام في النوم كأن صفوانَ بنَ سُليم أُدخل الجنةَ في قميصٍ كساهُ مسكينًا، قال: فدخلَ المدينةَ فسأل عنه، فدلُّوه عليه، فقال: أخبرْني عن قصة القميص، فأبى أن يُخبره، فتحمَّل عليه بأصحابه، فقال: إني رأيت في النوم كأنه أُدخل الجنةَ في قميصٍ كساهُ مسكينا، فسلُوه يخبرْنا عن قصته، قال: فلم يزالوا به، [حتى] قال: خرجتُ ذاتَ ليلةٍ إلى المسجد في السَّحَر، فإذا مسكينٌ يرتعد من البرْدِ، ولم يكن لي قميصٌ غيرَ الذي كان عليَّ، فكسوته إياه[٣].

وفاته:

جاء في ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي[٤]:

قال أبو غسان النهدي: سمعت سفيان بن عيينة - وأعانه على الحديث أخوه -، قال: حلف صفوان ألا يضع جنبه بالأرض حتى يلقى اللهَ، فمكث

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٤/ ١٢٩).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٤/ ١٢٩).
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٤/ ١٣٠-١٣١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٤ - ٣٦٩).

على ذلك أكثر من ثلاثين عاماً، فلما حضَرته الوفاة، واشـــتد به النزع والعَلَز[(١)] وهو جالس، فقالت ابنته: يا أبةِ، لو وضعتَ جنبَك.

فقال: يا بنية، إذًا ما وفيتُ لله بالنذر والحلف! فمات، وإنه لجالس.

وروى سهلُ بن عاصم، عن محمد بن منصور، قال:

وقال صفوان بن ســـليم: أُعطي اللهَ عهـــدًا أن لا أضعَ جنبي على فراش حتى ألحقَ بربي، قال: فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين ســـنة، لم يضع جنبه، فلما نزل به المـــوت، قيل له: رحمك الله، ألا تضطجع؟ قال: ما وفيتُ لله بالعهد إذًا! فأُسنِد، فما زال كذلك حتى خرجَتْ نفسُه.

قال: ويقول أهل المدينة: إنه بقيت[(٢)] جبهته من كثرة السجود.

قال ســـفيان بن عُيَيْنة: فأخبرني الحفّار الذي يحفر قبور أهل المدينة، قال: حفرتُ قبر رجل، فإذا أنا قد وقعت على قبر، فوافيت جمجمةً، فإذا السجود قد أثر في عظام الجمجمة، فقلتُ لإنســـان: قبر من هذا؟ فقال: أوَ ما تدري؟ هذا قبرُ صفوانَ بنِ سُليم.

وقال ابن أبي حازم: دخلت مع أبي على صفوانَ وهو في مصلاه، فما زال به أبي حتى ردّه إلى فراشـــه، فأخبرَته مولاته، قالت: ساعة خرجتم مات». انتهى النقل عن الذهبي.

---

(١) العَلَز: القلق والكرب عند الموت. انظر لسان العرب (٥/ ٣٨٠).

(٢) كذا جاءت هذه الكلمة هنا، أما في «تهذيب الكمال» (١٣/ ١٩٠)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٦٧٢): «نُقِبت»، وهو الصواب، وفي «الكاشف» للذهبي (١/ ٥٠٣): «ثُقِبت».

وقال ابن أبي حازم: إنَّ صفوان بنَ سُليم لما حضره إخوانه، فَجَعَلَ ينقلب! فقالوا: كأنَّ لك حاجة، قال: نعم، فقالت ابنته: ما له من حاجة إلا أنه يريد أن تقوموا عنه فيقوم فيصلي، وما ذاك فيه، فقام القوم عنه، وقام إلى مسجده يصلي، فوقع، وصاحت ابنته بهم، فدخلوا عليه، فحملوه ومات[١].

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: « وكان صفوان بن سليم قد تعقّدَت ساقاه من طول القيام، وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غداً ما وجد متزايداً.

وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضُرّ به البردُ، وإذا كان في الصيفِ اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام، **وإنه مات وهو ساجد،** وإنه كان يقول: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي »[٢].

قال الواقديُّ وابنُ سعدٍ وخليفةُ وابنُ نُمَيْرٍ، وعدةٌ: مات صفوان سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقال أبو حسان الزيادي: عاش اثنتين وسبعين سنة[٣].

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٤/ ١٣٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٤١٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٨).

عمر بن عامر

(...ـ ١٣٥هـ، وقيل بعدها)

السُّـــلمي، أبو حفص، البصريُّ، القاضي، وكان محدثًا صدوقًا له أوهامٌ، أخرج حديثَه مسلمٌ في صحيحه في المتابعات، والنسائي[1].

روى عن: أيوبَ السختياني، وجابرِ الجعفي، وحمادِ بن أبي سليمان، وزيدِ ابن أسلم، وعمرِو بن دينار، وقتادةَ، وغيرِهم.

وروى عنه: ســالمُ بن نوح، وســعيدُ بن أبي عَرُوبة، وعَبّــادُ بن العَوّام، ومعتمرُ بن سليمان، وغيرُهم.

قال مُغلطاي: « وفي (تاريخ البصرة) لابن أبي خيثمة: قال ابن عيينة: كان عمرُ بنُ عامرٍ من أهل العلم، ولم يكن له ذلك العلم بالقضاء »[2]. ا.هـ.

تولى قضاء البصرة في آخر حياته مدة ليست بالطويلةِ، وحصلت له حادثةٌ تدل على ورعه وإشفاقه من القضاء، ومات بعدها فجأة.

قال عمر بن شيبة: سمعت أبي يقول: تقدم خالد بن يوسف التميميُّ إلى

---

(١) انظـــر: «تهذيب الكـــمال» للمـــزي (٢١/ ٤٠٣)، «إكمال تهذيب الكـــمال» لمغلطاي (١٠/ ٧٨)، «تقريب التهذيب» (ص ٤١٤).

(٢) إكمال تهذيب الكمال (١٠/ ٧٩).

عمر بنِ عامر في منازعة، وكان رجلا بادِنًا[١]، فأمر بإقامته[٢]، فعنّف به الذي أقامه فأظهر من جسده شيئا، فأصبح ميّتا، فخرج بجنازته، وتبِعه صوارخُ يصرُخن: واقتيل عُمراه، فجزع من ذاك جزعا فاحشا، فجعل يدعو بالموت والراحة من القضاء، فلم ينشب أن مات فجأة[٣].

وقال يعقوبُ بنُ شيبة: سمعتُ عليَّ بنَ المديني يقول: عمرُ بنُ عامرٍ شيخٌ صالحٌ، كان على قضاءِ البصرةِ، مات فُجاءةً. قال علي: قال أبو عبيدة: لم يمُت قاضٍ فُجاءةً غيرُه[٤].

وفاته:

قال ابن حبان: مات سنة خمس وثلاثين ومائة.

وقال أبو زرعة: **مات وهو ساجد.**

رحمه الله تعالى.

(١) تصحّفت في المصدر إلى (بادئاً) بالهمزة، قال صاحب «القاموس المحيط» (ص ١١٧٩): «والبادِن والبَدين والمُبْدَن، كمُعظم: الجَسِيم».
(٢) أي أمر بإقامة عقوبة الجلد عليه، حدًّا أو تعزيرًا.
(٣) «أخبار القضاة» لوكيع (٢/ ٥٥).
(٤) تهذيب الكمال (٢١/ ٤٠٦).

السجّاد، علي بن الحسن الثالث الهاشمي

(...ـ ١٤٥هـ)

هو أبو الحسن، المُلقّب بالسجّاد، علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الهاشميّ رضي الله عنهم، وأمّه أمّ عبد الله بنت عامر بن عبد الله بن بشر بن عامر بن ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

قال الصفدي: « وأعقب عليٌّ هذا ولدًا اسمه الحسين، وقيل: له ولدٌ آخر اسمُه محمد »[١].

قال أبو حاتم الرازي: روى عن آبائه.

وقال البخاريّ وأبو حاتم الرازي: روى عنه عبدُ الرحمن بن أبي الموالي، زاد عبد الرحمن بن أبي حاتم: وروى عبد العزيز بن محمد الدراوردي عنه[٢].

تحقيق اسمه:

قال أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ): «وروى عبدُ العزيز بنُ محمدِ الدراوَرْديُّ عنه، فقال: عن علي بن حسن بن حسن بن حسن بن علي بن أبى طالب، نُسِبَ إلى ثلاثةِ آباءٍ يُسمَّون حسنا، قال أبو محمد: والصحيح هذا، وأسقط ابنُ أبى الموالي اسمَ الحسنِ الثالثِ، [فـ]طلبتُ أَثَرَ

(١) الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٨٦).

(٢) التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٢٦٩)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩).

ذلك في كتاب «الأنساب» للزبير بن بكار، فوجدته صحيحًا، للحسنِ الثالثِ ابنٌ يُسمّى عَليّا، وهو الذي روى عنه الدراورديُّ وابنُ أبي الموالي»[١].

بعض مآثره وعبادته رحمه الله:

كان يُلقّب بالسَّجّاد لفضله واجتهاده وتعبّده، وقومٌ يلقبونه العابد، وعلي الأغرّ، وعلي الخير[٢].

وكان يقال: ليس بالمدينة زوجان أعبدَ منه ومن زوجته، وهي بنت عمه زينب بنت عبد الله بن حسن[٣].

وعن أبي حذافة السهمي قال: حدثني مولى لآل طلحة: أنه رأى علي بن الحسن قائما يصلي في طريق مكة، فدخلت أفعى في ثيابه من تحت ذيله، حتى خرجت من زيقته، فصاح به الناس: الأفعى في ثيابك، وهو مقبل على صلاته، ثم انسابت فمرت، فما قطع صلاته، ولا تحرك، ولا رُئيَ أثرُ ذلك في وجهه[٤].

وقال موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن: حُبِسنا في المطبق، فما

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ١٧٩-١٨٠).

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج (ص١٧٤)، تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٩٣٢)، الوافي بالوفيات للصفدي (٢٠/ ١٨٥)، وكثرة الأسماء والألقاب دالة على رفعة القدر ووفرة المآثر والفضائل، رحمه الله تعالى.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٩٣٢)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (٢/ ٢٧٥).

(٤) «مقاتل الطالبيين» (ص: ١٧٥)، وقوله (من زيقته): زِيقُ القَمِيصِ، بالكسر: ما أحاطَ بالعُنُقِ منه. قاله في «القاموس المحيط» (ص:٨٩٢).

كُنّا نعرف أوقات الصلوات إلّا بأجزاء يقرؤها علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن[١].

وقال الحسين بن نصر: حَبَسهم أبو جعفر في مَحبسٍ ستين ليلةً، ما يدرون بالليل ولا بالنهار، ولا يَعرفون وقتَ الصلاةِ إلّا بتسبيح علي بن الحسن[٢].

قال الصفدي: «وكان لا يوافِق أقاربَه على طلب الخلافة، ويُلام على ذلك، فيقول: من يشتغلْ بالله لا يتفرغ للشغل بغيره»[٣].

وفاته:

قال موسى بن عبد الله بن موسى: **توفي علي بن الحسن وهو ساجد في** حبس أبي جعفر، فقال عبد الله: أيقظوا ابنَ أخي، فإني أراه قد نام في سجوده! قال: فحرَّكوه فإذا هو قد فارق الدنيا، فقال: رضي الله عنك، إن علمي فيك أنك تخاف هذا المصرع[٤].

وكانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائة[٥]. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

---

(١) «مقاتل الطالبيين» (ص: ١٧٦).

(٢) «مقاتل الطالبيين» (ص: ١٧٧)، وقد كانوا أحد عشر رجلا، ثم حُبس معهم علي السجاد فصاروا اثني عشر، ولمعرفة أسمائهم وسبب حَبس السجاد معهم يُنظر «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٥/ ١٠٣).

(٣) الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٨٥).

(٤) مقاتل الطالبيين (ص: ١٧٦).

(٥) تاريخ الإسلام (٣/ ٩٣٢)، الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٨٦)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ٢٧٥).

موسى الصغير

(توفي بين ١٤١ - ١٥٠ هـ)

موسى بن مسلم الحِزامي، ويقال الشيبانيُّ، أبو عيسى الكوفي، الطحان، المعروف بموسى الصغير، أحدُ رواة الحديث من أتباع التابعين[1].

روى عن: إبراهيم التيمي، وإبراهيم النخعي، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرِهم.

وروى عنه: سفيان الثوري، ويحيى بن سعيد القطان، وأبو معاوية الضرير، وغيرُهم.

قال الإمام أحمد بن حنبل: ما أرى به بأسًا.

وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين: موسى الصغير الذي يروي عنه أبو معاوية هو موسى بن مسلم، وهو موسى الطحان، وموسى الصغير ثقة[2].

---

(١) ترجمته في: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٨/ ١٥٨)، تهذيب الكمال (٢٩/ ١٥٢)، تاريخ الإسلام (٣/ ٩٨٨)، إكمال تهذيب الكمال (١٢/ ٣٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٧٢). ومن هذه المصادر نقلتُ.

(٢) وهذا البيان من ابن معين رحمه الله تعالى لتعدد اسم الراوي وألقابه هو من المُهم في علم الحديث، وقد أفرد له الحافظ ابن الصلاح في مقدمته نوعين، فقال في الأول منهما (ص ٣٢٣): «النوع الثامن والأربعون: معرفة من ذُكر بأسماءٍ مختلفةٍ أو نعوتٍ متعددةٍ، فظَنّ من لا خبرة له بها أن تلك الأسماءَ أو النُّعوتَ لجماعةٍ متفرقين»، وقال في الثاني (ص٣٣٨): «النوع الثاني والخمسون: معرفة ألقاب المحدثين ومن يُذكر معهم: وفيها كثرة، ومن لا يعرفها يوشك أن يظنها أسامي، وأنْ يجعلَ من ذُكر باسمه في موضع وبلقبه في موضع: شخصين، كما اتفق لكثير ممن ألَّف». =

قال أبو حاتم: أكثر ما يقع في الرواية موسى الصغير.

وذكره ابن شـــاهين في كتاب «الثقات»، وقال: قال ابن عمار: ما سمعتُ أحدًا يقول عنه إلا خيرًا.

وفاته:

لم أقف على من ذكر ســـنة وفاته، ولكن ذكره الذهبي ضمن من توفي بين ١٤١ - ١٥٠هـ.

قال ابن ســـعد: « قال أحمد بن عبد الله بن يونس: ســـمعتهم يذكرون **أن موسى الصغيرَ الطحانَ مات ساجداً عند المقام** »[١].

وقال الذهبي: « قال مســـدد: ســـمعتُ يحيى القطان يقول: **كان موسى الصغير يصلي في الحِجر، فدعا الله - عز وجل -، فقبض روحه وهو ساجد** »[٢].

رحمه الله تعالى.

= وهذا الراوي موســـى الصغير قد وقع في الوهم فيه الإمامُ البخاري رحمه الله تعالى - وهو مَن هو -، حيث قال في تاريخه الكبير (٦/ ٢٧٥): « علي بن زرارة عن ســـعيد ابن جبير، روى عنه موســـى الصغير»، فتعقبه الإمام ابـــن أبي حاتم في كتابه النفيس «بيـــان خطأ البخاري في تاريخه» (ص ٨٤)، فقال: «وإنما روى عنه موســـى بن قيس الحضرمي، وموسى الصغير هو ابن مسلم الشيباني، سمعت أبي يقول كما قال».

(١) الطبقات الكبرى (٦/ ٣٥٦)

(٢) وفي «التاريخ الأوسط» للإمام البخاري رحمه الله تعالى (٢/ ٧٣)، قال: «حدثني أحمد بن الحسين، حدثنا علي، سمعت يحيى [هو القطان]: مات موسى الصغير وهو ساجد خلف المقام، شـــهدتُه بمكة، هو موسى بن مسلم أبو عيســـى الكوفي، سمع مجاهدا والنخعي والتيمي وعون بن عبد الله وسلمة بن كهيل، سمع منه أبو أسامة ويعلى».

الإمام أبو حنيفة

(٨٠ـ ١٥٠هـ)

هو الإمــام التابعي، فقيه الملة، عالم العراق، أبــو حنيفة النعمان بن ثابت بــن زُوطى التيميُّ، الكوفي، مــولى بني تيم الله بن ثعلبة، يقــال: إنه من أبناء الفرس[1].

مولدُه وبعضُ شيوخِه وتلاميذِه:

ولد سنة ثمانين، ورأى أنسَ بن مالك غيرَ مرة بالكوفة إذ قدمها أنسُ.

وروى أبو حنيفة عن عطاء بــن أبي رباح -وقال: ما رأيت أفضل منه-، وعن عطية العوفي، ونافع، وســلمة بن كهيل، وأبي جعفر محمد الباقر، وحماد بن أبي سليمان، وعددٍ كثيرٍ.

وتفقه بحمّاد بن أبي ســليمان، وغيرِه، فبَرَع في الرأي، وساد أهل زمانه في التفقُّه وتفريع المسائل، وتصدّر للإشغال، وتخرج به الأصحاب.

فمن تلامذته: زفر بن الهذيل العنبري، والقاضي أبو يوســف يعقوب بن إبراهيــم الأنصاري قاضي القضاة، ونوح بن أبي مريــم المروزي، وأبو مطيع

(١) حلاّه بهذا الذهبيُّ في «ســير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٩١)، ســوى كلمة (التابعي) فإنها منّي، وجميــع ما أُورده هنا هو من ترجمته في «تاريخ الإســلام» للذهبي (٣/ ٩٩٠- ٩٩٦)، وإن نقلت شيئا من غيره فأذكره، أما العناوين الفرعية فهي من وضعي.

الحكم بن عبد الله البلخي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وأسد بن عمرو، ومحمد ابن الحسن، وحماد بن أبي حنيفة، وخلقٌ.

وروى عنه: مغيرة بن مقسم، ومسعر، وسفيان، وزائدة، وشريك، والحسن بن صالح، وعلي بن مسهر، وحفص بن غياث، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وعبد الرزاق الصنعاني، وأبو نعيم الفضل بن دُكَيْن، وخلقٌ كثير.

ذِكرُ بعضِ ما يدل على عقله وهَديه وحُسن سمته:

وكان خزازاً[1]، يُنفق من كسبه، ولا يقبل جوائز السلطان - تورعًا -، وله دار وصُنّاع ومعاش مُتسع، وكان معدودًا في الأجواد الأسخياء، والألِبّاءِ الأذكياء، مع الدين والعبادة والتهجد وكثرة التلاوة وقيام الليل، رضي الله عنه.

وعن أبي حمزة الثُّمالي قال: كنا عند أبي جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين، فدخل عليه أبو حنيفة فسأله عن مسائل، فأجابه محمد بن علي، ثم خرج أبو حنيفة، فقال لنا أبو جعفر: ما أحسنَ هَدْيَهُ وسَمْتَهُ، وما أكثرَ فقهَه[2].

وقال يزيد بن هارون: ما رأيت أحدا أورعَ ولا أعقلَ من أبي حنيفة.

---

(١) الخزّ: بالخاء المعجمة والزاي، هو الثياب المنسوجة من صوف وإبريسم، وبائعه خزّاز. انظر «تاج العروس» للزبيدي (١٥/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء»، لابن عبد البر (ص ١٩٣).

وقال أبو يوســف: قال أبو حنيفة: علمُنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه.

وعن شريك قال: كان أبو حنيفة طويلَ الصمت، كثيرَ العقل.

وقيل: إن إنســاناً اســتطال على أبي حنيفة - رضي الله عنــه - وقال له: يا زنديق، فقال أبو حنيفة: غفر الله لك، هو يعلم منِّي خلافَ ما تقول.

قال يزيد بن هارون: ما رأيت أحدا أحلمَ من أبي حنيفة.

وعن أبي يوســف قال: كان أبو حنيفة ربعةً، من أحســنِ الناسِ صورةً، وأبلغِهم نُطقا، وأعذبِهم نغمة، وأَبْينهم عما في نفسه.

وعن حماد بن أبي حنيفة قال: كان أبي جميلا تعلوه ســمرة، حســنَ الهيئة، كثيرَ العطر، هيوباً، لا يتكلم إلا جواباً، ولا يخوض فيما لا يعنيه.

وعن النضر بن محمــد قال: كان أبو حنيفة جميــلَ الوجه، سَرِيّ الثوب، عَطِرا.

وعن ابن المبارك قال: ما رأيت رجلاً أوقرَ في مجلســه ولا أحســنَ سمتًا وحِلماً من أبي حنيفة.

ذِكرُ بعضِ ثناء العلماء عليه وعلى علمه:

وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقهُ الناس.

وقال الشافعي: الناس في الفقه عِيالٌ على أبي حنيفة.

وقال أبو داود: رحم الله مالكًا كان إمامًا، رحم الله الشافعيَّ كان إمامًا، رحم الله أبا حنيفة كان إمامًا.

وسئل يزيدُ بنُ هارون: أيُّما أفقهُ: أبو حنيفة أو الثوري؟ فقال: أبو حنيفة أفقه، وسفيان أحفظ للحديث.

وروى نوح الجامع أنه سمع أبا حنيفة يقول: ما جاء عن الرسول - ﷺ - فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال.

وقال وكيع: سمعت أبا حنيفة يقول: البول في المسجد أحسن من بعض القياس.

قال أبو محمد بن حزم: جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس والرأي.

وقال أبو حنيفة: لا ينبغي للرجل أن يحدث إلا بما يحفظه من وقت ما سمعه.

وعن أبي معاوية الضرير قال: حُبُّ أبي حنيفة من السنة، وهو من العلماء الذين امتُحنوا في الله.

قال أحمد بن الصباح: سمعت الشافعي يقول: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته.

وقال يحيى القطان: لا نكذب الله، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله.

وقال علي بن عاصم: لو وُزن علمُ أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجَح عليهم.

وقال حفص بن غياث: كلامُ أبي حنيفة في الفقه أدقُّ من الشعر لا يعيبه إلا جاهل.

وقال الخُرَيْبي: ما يقع في أبي حنيفة إلا حاسدٌ أو جاهلٌ.

وقال حاتم بن آدم: قلتُ للفضل بن موسى السيناني: ما تقول في هؤلاء الذين يقعون في أبي حنيفة؟ قال: إن أبا حنيفة جاءهم بما يعقلونه وبما لا يعقلونه من العلم، ولم يترك لهم شيئا، فحسدوه[1].

---

(١) «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء»، لابن عبد البر (ص ٢١١)، ومعنى قوله (وبما لا يعقلونه من العلم) أن أبا حنيفة أفاد بأشياءَ دقيقةٍ تفوق مستوى بعضهم في العلم والإدراك. =

وقال الحميدي: سمعت ابنَ عيينة يقول: شيئان ما ظننتهما يجاوزان قنطرة الكوفة: قراءةُ حمزة، وفقهُ أبي حنيفة، وقد بلغا الآفاق.

وعن الأعمش أنه سئل عن مسألة فقال: إنما يُحسِن هذا النعمانُ بن ثابت الخزاز، وأظنه بورك له في علمه.

وقال جرير: قال لي مغيرة: جالس أبا حنيفة تَفقهْ، فإن إبراهيم النخعيَّ لو كان حيًّا لجالسه.

وقال صالح بن محمد جزرة، وغيره: سمعنا ابن معين يقول: أبو حنيفة ثقة.

وقال الدَّوْرَقي: سئل يحيى بن معين -وأنا أسمع- عن أبي حنيفة، فقال: ثقةٌ، ما سمعتُ أحدًا ضعّفه، هذا شعبةُ بنُ الحجاج يكتب إليه أن يُحدّث، ويأمرَه، وشعبةُ شعبة![١]

= وقال الإمام الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في «الانتقاء» أيضاً (ص ٢٧٦-٢٧٧) كلمةً جامعةً حول أسباب ما نُقل عن بعض الرواة في ذم أبي حنيفة وفقهه، فقال: « كثير من أهل الحديث استجازوا الطعن على أبي حنيفة لرده كثيراً من أخبار الآحاد العدول ؛ لأنه كان يذهب في ذلك إلى عرضها على ما اجتمع عليه من الأحاديث ومعاني القرآن، فما شذّ عن ذلك ردّه وسمّاه شاذاً، وكان مع ذلك أيضاً يقول: الطاعاتُ من الصلاة وغيرها لا تسمى إيمانًا، وكل من قال من أهل السنة الإيمان قول وعمل ينكرون قوله، ويبدعونه بذلك، وكان مع ذلك محسودا لفهمه وفطنته».

(١) «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء»، لابن عبد البر (ص ١٩٧).

بعض ما ذُكر عن عبادته:

عن أسد بن عمرو أن أبا حنيفة صلى العشاء والصبح بوضوءٍ أربعين سنة.

وقال تلميذه قاضي القضاة أبو يوسف: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعتُ رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: والله لا يُتحدث عني بما لم أفعل، فكان يحيي الليلَ صلاةً ودعاءً وتضرعًا.

وقال المثنى بن رجاء: جعلَ أبو حنيفة على نفسه إن حلف بالله صادقاً أن يتصدق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقةً تصدّق بمثلها.

وقال قيس بن الربيع: كان أبو حنيفة ورعاً، تقياً، مُفْضِلاً على إخوانه.

وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يُسمى الوَتَد لكثرة صلاته.

وروى علي بن إسحاق السمرقندي عن أبي يوسف قال: كان أبو حنيفة يختم القرآن كل ليلة في ركعة.

وروى يحيى بن عبد الحميد الحماني عن أبيه: أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهر، فما رآه صلى الغداة إلا بوضوء عشاء الآخرة، وكان يختم القرآن في كل ليلة عند السَّحَر.

وعن يزيد بن كميت قال: سمعتُ رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتق الله، فانتفضَ واصفرَّ وأطرقَ، وقال: جزاك الله خيراً، ما أحوجَ الناسَ كلَّ وقت إلى مَنْ يقول لهم مثلَ هذا.

ويُروى أن أبا حنيفة ختم القرآن في الموضع الذي مات فيه سبعة آلاف مرة.

وعن القاسم بن معن: أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله - تعالى - ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦] ويبكي ويتضرع إلى الفجر.

وفاته:

قال أبو يوسف القاضي: كانت وفاته في نصف شوال سنة خمسين ومائة.

وقال الواقدي، وأبو حسان الزيادي، ويعقوب بن شيبة: مات في رجب سنة خمسين.

وقال يحيى بن نضر بن حاجب: وُلد أبو حنيفة رحمه الله بالكوفة، ومات ببغداد ليلة النصف من شعبان سنة خمسين ومائة.

قال يعقوب بن شيبة: **خُبِّرت أنه تُوفي وهو ساجد**[١].

وقال بدر الدين العيني: « وعن أبي حسان الزيادى: **لمّا أحس أبو حنيفة بالموت سجد، فخرجت نفسه وهو ساجد، وكان عمره يوم توفى سبعين سنة.**

وغسّله الحسن بنُ عمارة - وهو من مشايخ أبي حنيفة ومن كبار المحدثين -، وكان يصُب عليه الماءَ أبو رجاء عبد الله بن واقد الهروي إمامُ

---

(١) «أخبار أبي حنيفة وأصحابه»، للصيمري (ص: ٩٣).

أهــل هراة، وصلى عليه الحســن بن عمارة أيضًا، وصُلِّي عليه يوم مات ســت مرات؛ لكثرة الزحام، آخرُهم عليه صلاةً ابنُه حماد، وجاء المنصور وصلى على قبره. ويقال: مكث الناس يصلون على قبره أكثر من عشرين يومًا »[١].

رحم الله هذا الإمام الكبير، وتقبله في خاصة المقربين، آمين.

(١) «مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار» (٣/ ١٤١).

عبد العزيز بن أبي حازم

(١٠٧ ـ ١٨٤هـ)

هو الإمام، الفقيه، العابد، عبد العزيز بن أبي حازم سلمة بن دينار، مولى أسلم، أبو تمّام المدني، خرّج عنه البخاري ومسلم، وهو صاحبُ الإمامِ مالكٍ وتلميذُه[1].

وُلد سنة سبع ومائة، وتفقه مع مالك على ابن هرمز، وسمع أباه والعلاءَ ابن عبد الرحمن، وزيد بن أسلم، وسهيل بن أبي صالح، وثور بن زيد، ومالكاً، وكان من جِلة أصحابه.

روى عنه عبد الله بنُ وهب، وإسماعيل بنُ أبي أُويس، وقتيبةُ بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وعلي بن المديني، والقعنبي، ويحيى بن يحيى التميمي، ومصعب الزبيري.

قال يحيى بن معين فيه: صدوق، ثقةٌ، ليس به بأس.

وقال النسائي: ليس به بأس.

وقال أبو حاتم الرازي: صالح الحديث، وقال هو وأبو زرعة: [ابن أبي حازم] أفقهُ من الدراوردي، والدراورديُّ أوسعُ حديثاً منه.

---

(١) نصوص ترجمته اقتبستها من ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله تعالى (٣/ ٩-١٢).

قال ابن حارث: كان إمامَ الناس في العلم بعد مالك، وحكاه ابن وضاح عن بعضهم، وشُوْوِرَ مع مالك آخِراً.

قال أحمد بن حنبل: كان يتفقه، لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه منه.

قال مصعب: ابن أبي حازم فقيه.

وقال ابن السكري: هو مدني ثقة. وقال مثله ابن نمير.

ثناء الإمام مالك عليه:

وحكى الشيرازي أن مالكاً قال فيه: إنه لفقيه.

وقال الإمام مالك: قوم فيهم ابن أبي حازم لا يُصيبهم العذابُ.

وقال: ما يُرفعُ عن المدينة إلا بابن أبي حازم.

وقال ابنُ أبي ضمرة وغيرُه: ذَكر قومٌ عند مالك الموتَ، فبكى، فقلنا له: أرأيت إن نزل بك الموت، فإلى من نفزع؟ ومن نشاور؟ فقال: إن قوماً فيهم ابنُ أبي حازم فيصدُرون عن رأيه أرجو أن يُوَفّقوا.

وحكى الدراورديّ: أن مالكاً سُئل حين احتُضر: من تَرى لنا؟ قال: أبو تمام - يعني ابن أبي حازم -.

قال ابن مهدي: سأل رجلٌ مالكًا عن مسألة، فلم يُجبه فيها، قال له: فمن نسأل يا أبا عبد الله؟ قال: سل ابنَ أبي حازم، فإنه نعم المرء.

وفاته وخاتمته الحسنة:

قال ابن شعبان وغيره: **تُوفي فجأةً بالمدينة، في سجدة سجدها بالروضة بمسجد النبي ﷺ، يوم الجمعة، في آخر سجدةٍ منها**، غرةَ صفرٍ سنة خمس وثمانين [أي ومائة].

قال ابن سعد الجارودي، والقعنبي، والباجي: سنة أربع [أي وثمانين ومائة]، وقيل غيرُ ذلك.

رحمه الله تعالى.

محمد بن عمرو السُوسي

(١٥٩ ـ ٢٥٩هـ)

هو: محمد بن عمرو بن يونس بن عمران بن دينار، أبو جعفر الكوفي، التَّغْلِبي، المعروف بالسوسي[1].

محدّث مُكثر، روى عن أبي معاوية الضرير، وابنِ نُمير، ووكيع، وغيرهم، وحدّث عنه الطحاويُّ كثيرا في مصنفاته.

وذكره ابنُ يونس في «الغرباء»، فقال: كوفي قَدِمَ مصرَ وحَدّث، وكان انصرافه من الحج، فمات في الطريق في بعض المناهل بين مكة ومصر، في أول المحرم سنة تسع وخمسين ومئتين.

قصة وفاته:

قال تلميذه الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى: مات أبو جعفرٍ محمدٌ بن عمرو بن يونس السُّوسي في المحرم سنة تسع وخمسين ومائتين، في طريق مكة منصرفًا من الحج، **مات ساجداً وقد استوفى مائةَ سنة**.

وذكر أبو جعفر الطحاوي قال: حدثني أبو علي محمد بن محمد بن

---

(١) انظر ترجمته في: «الضعفاء الكبير» للعقيلي (٤/ ١١١)، «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٣٤)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٧٥)، «لسان الميزان» (٧/ ٤١٨)، «مغاني الأخيار» للعيني (٣/ ٥٤٩)، وغيرها من المصادر.

الأشعث الكوفي: أنه كان معه، وأنه قال له: انظر، أترى الهلال؟ قال: فنظرت فرأيته، فقلت له: قد رأيته، فقال لي: استوفيتُ مائةَ سنة، ثم نزل فقال: وضِّئني لصلاة المغرب، فوضّأته لها، ودخل فيها، **فســـجد سجدة فطال عليّ أمرُه فيها، فوجدته ميتاً**.

رحمه الله تعالى وغفر له[1].

(١) وقد نُســـب رحمه الله وغفر له إلى رأي مذموم، ولكنه لم يكن داعيةً إليه، بل يروي من الحديث ما يناقض رأيه، وهذا دليل على عدم تعصبه ودليل على أمانته في أداء العلم، ولذا نجد الإمام الطحاوي يُكثر من الرواية عنه ولا يتحرج.

أبو عِقال، عُلوان بنُ الحسن

(... ـ ٢٩٦هـ)

العالم الأديب الشاعر، العابد الزاهد القدوة، أحد التائبين من أبناء الملوك[(١)].

قال الإمام أبو بكر الطُرطوشي المالكي الأندلسي (ت ٥٢٠هـ) رحمه الله تعالى: «وممن زهد في الدنيا وأبصر عيوبها من أبناء الملوك: أبو عقال علوان بن الحسن، من بني الأغلب، وهم ملوك المغرب، وكان ذا نعمة ومُلك، وله فُتُوّة ظاهرة، فتاب إلى ربه ورجع عن ذلك رجوعًا فاق نظراءه، فرَفض المالَ والأهلَ، وهَجر النساء والوطن، وبَلغ من العبادة مبلغًا أربى فيه على المجتهدين، وعُرف بإجابة الدعوة.

---

(١) وقد اختلفت المصادر في اسمه، ولا يبعد التصحيف عن بعض طبعاتها، فسماه أبو بكر المالكي في رياض النفوس: «أبوعقال، ابن غلبون»، وسمّاه الطرطوشي في سراج الملوك: «أبو عقال، علوان بن الحسن»، وتابعه محمد مخلوف في شجرة النور الزكية، وفي معالم الإيمان لأبي زيد الدباغ: «أبو عقال، غلبون بن الحسن بن غلبون»، وتعقبه ابنُ ناجي بقوله: «كذا قال! وهو خلاف قول التجيبي وغيره أن اسمه آداب»، أما ابن الأبار في الصلة فذكره في أثناء ترجمة شيخه أبي هارون فقال: «أبو عقال، ابن علوان». فيُنتبه لهذا حيث سيأتي اسمه متعددا أثناء الترجمة.

وكان عالمًـــا، أديبًا، قد صحب عدةً من أصحاب ســـحنون[١]، وسَـــمع منهم»[٢]. انتهى.

وقال العلامة المؤرخ أبو زيـــد الدباغ (ت ٦٩٦هـ) رحمه الله تعالى: «كان من الحفاظ النبلاء، والفصحاء الأدباء الشعراء، وله سماع من سحنون.

نشـــأ أبو عقال بالقيروان في رفاهية عظيمة؛ لأنـــه كان من بني الأغلب ملوك إفريقية، فكان شديد المجون، لم يكن في زمانه أشدَّ مجونًا منه، إلى أن تاب وارعوى، وتجرد من الدنيا وزهد فيما يفنى، ثم جدّ واجتهد حتى كان من كبار العُبّاد، وأفاضل الزُّهّاد، وأربى على أهل الجد والاجتهاد»[٣].

سبب توبته:

ذكـــر العلماء في ترجمته ســـببين أو قصتـــين لتوبته، منها مـــا ذكره أبو بكر المالكي العـــالمُ المؤرخ -من علماء القرن الخامـــس- رحمه الله تعالى، قال: «وأما ســـبب توبته ورجوعه إلى عبادة ربه، ومـــا جرى له في ذلك من الأخبار والمجالس: فذكر ســـليمان بن محمد قال: أخبرني محمد بـــن الكاتب، قال: كُنا

(١) هو عبد الســـلام (ولقبه سحنون) ابن ســـعيد بن حبيب التنوخي، أبو سعيد، الفقيه المالكـــي القاضي الزاهد الـــورع الحافظ للعلم الثقةُ، تلميذُ ابنِ القاســـم، وصاحبُ المدوّنة في الفقه المالكي. ترجمته في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤/ ٤٥)، الديباج المذهب لابن فرحون (٢/ ٣٠).

(٢) انظر كتابه «سراج الملـــوك» (ص ٢٢)، وقد اختصر محمد مخلوف ترجمة أبي عقال من سراج الملوك في «شجرة النور الزكية» (١/ ١٠٩).

(٣) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، لأبي زيد الدباغ (٢/ ٢١٤-٢١٥).

نشرب عند أبي عقال ابـــن غلبون في داره، قال: فلما كان بعد العصر خرج عنا من المجلس وقد طِبنا، فقال لغلامه: «امض فاشـــتر لي جبةً من صوف وعباءة وكســـاء ومئزرا من صوف»، فحســـب الغلام أنه إنما يريد أن يكسوها لأحد، فأتى بها إليه، فنزع ثيابَه تلك الناعمةَ النِّظافَ ودخل إلى والدته، فقالت له: ما هذا يا أبا عقال؟ أخولِطتَ في عقلك يا بني؟! فقال لها: يا أماه، والله لا عصيته بعد هذا اليوم أبدا إلا أن يُقدرَ عليّ.

[قال محمد بن الكاتب:] وانصرف كل واحد منا، فهكذا كانت توبته رحمه الله تعالى، فباع ما كان له من دار وعَقار وتصدق به، وخرج إلى مكة حرسها الله تعالى في خيشتين»[١] انتهى.

ويذكر أبو زيد الدباغ ســـببا آخر وقصة مغايـــرة لتوبته، حيث قال رحمه الله تعالى: « وكان ســـبب توبته أنه كان مفتونًا بالنساء، فكان يحضر الأعراس والمآتم بزي النســـاء، فحضر يومًا عرسًـــا لبعض ملـــوك الأغالبة مع جملة من جواريه على شكل النساء، فلما جلس بينهنّ ضاعت دُرَّةٌ نفيسة في دار العُرس، فأغلقوا الأبواب، ووقع التفتيش في النساء واحدة بعد الأخرى، حتى لم يبق في الدار إلا هو وامرأةٌ، فلما خشي الفضيحة قال: إلهي لئن ســـترتني هذه المرة ولم تفضحْني لأتوبنّ ثم لا أعود، وكان قد تاب قبلها نحو السبعين مرة ثم نكث!

فلـــما علم اللهُ منه الصدقَ نادى منادٍ من الـــدار: خلّوا عن الحرة ؛ فإنّا قد

(١) رياض النفـــوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيـــة، لأبي بكر المالكي (١/ ٥٢٧- ٥٢٨).

وجدنـــا الدُّرَّة! فخرج من الموضع إلى داره وقد حصل في نفســـه ما حصل من التوبة النصوح، فرفض المالَ والأهلَ والولدَ والوطنَ، وخرج فارًّا بنفســـه[1]، فلحق ببعض حصون إفريقية فصحب أبا هارون الأندلسي.

---

(١) كان خروجه من وطنه ومالِه لســـبب صرح به هو في مراســـلته مع أخته حين ســـألته الرجوع من مكة إليهم، فقال – نقلاً عن معالم الإيمان (٢/ ٢١٨) –: « ما كنتُ لأدعَ بلدًا عرفتُ الله فيه وأمضي إلى بلد عصيت الله فيه، أخشى أن تقضى العوائد! » انتهى المراد منه، ويقصد أنه يخشى أن يحمله الرجوع للوطن على تذكر أيام الغفلة والمعاصي فيشتاق إليها ويعود لارتكابها.

وهذا موافق لما جاء في حديث الرجل من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم أكملهم مائة نفس، قال في الحديث: «ثم ســـأل عـــن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على رجـــل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبـــة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناســـاً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء...» الحديث، رواه مسلم (٢٧٦٦)، ونحوه مختصرًا في صحيح البخاري (٣٤٧٠).

قال القاضي عياض في شرح هذا الحديث: « فيه الحضُّ على مفارقةِ الإنسانِ المواضعَ التـــي أصاب فيها الذنوبَ، والأقرانَ الذين ســـاعدوه عليهـــا، ومعاداتهم لله تعالى، مبالغةً في التوبةِ وقطعِ علائقها، والاستبدال بذلك صحبةَ أهل الخير والصلاح ومن يُقتدى به، ويتأكد بمشاهدته توبته ». انتهى من إكمال المعلم (٨/ ٢٦٩).

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري بـــشرح البخاري» (٦/ ٥١٧): « وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنســـان فيها المعصيةَ؛ لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكُّره لأفعالِه الصادرةِ قبـــلَ ذلك، والفتنةِ بها، وإما لوجود مَن كان يعينـــه على ذلك ويحضُّه عليه؛ ولهذا قال له الأخير: ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرضُ ســـوء، ففيه إشـــارة إلى أن التائب ينبغي لـــه مفارقةُ الأحوال التـــي اعتادها في زمن المعصية، والتحولُ منها كلِّها، والاشتغالُ بغيرها ». انتهى.

وكان أبو هارونَ الأندلسيُّ زاهدًا مُتبتّــلا، فانتفع بصحبته ولازمه حتى مات».[1] انتهى.

قال الإمــام أبو بكر الطُّرْطــوشي رحمه الله تعالى: «ثــم انقطع إلى بعض الســواحل، فصحب رجلاً يُكنى أبا هارون الأندلــسيَّ منقطعًا مُتبتّلا إلى الله، فلم ير منه كبيرَ اجتهــادٍ في العمل، فبينا أبو عقال يتهجد في بعض الليالي وأبو هــارون نائم، إذ غالبَه النومُ، فقال لنفســه: يا نفسُ، هــذا عابدٌ جليلُ القدرِ، ينام الليل كلَّه وأنا أســهرُ الليل كلَّه، فلو أرحت نفسي! فوضع جنبه، فرأى في منامه شخصًا، فتلا عليه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً ﴾[الجاثية: ٢١] إلى آخر الآية، فاســتيقظ فزِعًا وعلم أنه المراد، فأيقظَ أبا هارون وقال له: ســألتُك بالله هل أتيتَ كبيرةً قط؟ قــال: لا يا ابن أخي، ولا صغيرةً عن تعمّد والحمــد لله. فقال أبو عقال: لهذا تنام، ولا يصلح لمثلي إلا الكدُّ والاجتهادُ.

(١) معــالم الإيمان (٢/ ٢١٥)، وأبو هارون الأندلسي هــذا كان أحد الصالحين الفضلاء المجتهديــن في الدعاء والعبادة، وكان علماء القــيروان يحترمونه ويوقرونه وبعضهم كان يخدمــه، وكان يدعو الله تعالى أن يجعل قبره في البقيع، فاســتجاب الله له وتوفي بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام ودفن بالبقيع.

وذُكر عنه أنه كان حصوراً لا يأتي النساء، ولم يتزوج، وبهذا يلحق بـ«العلماء العزاب» فيُزاد على كتاب الشــيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى. وانظر ما ســيأتي (ص: ١٥٦، ١٧٨).

انظر ترجمته في: رياض النفوس لأبي بكر المالكي (١/ ٥١٦ – ٥٢٦)، التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبّار (٤/ ١٤٢)، كما أن له أخبارًا متناثرة في ترجمة تلميذه أبي عقال في «رياض النفوس» و«معالم الإيمان» لأبي زيد الدباغ، رحم الله الجميع.

ثــم رحل إلى مكة، ولزم بيتَ الله الحرام، وحــج مراراً، وأربى على عُبّاد المشرق.

وكان يعمل بالقِربة على ظهره لقوته، **ومات بمكة وهو ســاجد في صلاة الفريضة بالمسجد الحرام**، سنة ست وتسعين ومائتين »[١] انتهى.

بعض أخباره في مكة:

قال أبو عبد الله الدينوري: كان أبو عقال يُسمّى حمامة الحرم بمكة[٢].

وقال أبو بكر بن ســعدون: « رأيت أبا عقــال على جبل الرحمة يوم عرفة جاثيًــا بين يدي الله عز وجلّ على ركبتيه، باســطًا ذراعيه، شــاخصًا ببصره، ودموعه سكبا، فقلت له: يا أبا عقال، إنه يوم عظيم، ألا تدعو؟ فقال لي: يا ابن سعدون، هو يعرف حاجتي وفي أي شيء جئت »[٣].

قال الطرطوشي: « وقال له رجل كان يصحبه يوماً: لي إليك حاجة، فقال - بعد الجهد به -: حاجتك مقضية، قال: إن كانت لك شهوةٌ أخبرني بها، قال: نعم أشتهي أن آكل رأسًا، فاشتريتُ له رأسين ولفَفْتُهما في رِقاق وجئته بهما، ثم ســألته بعد ذلك بأيام: هل طاب لك الرأسان؟ قال: لا، ما هو إلا أن فتحتهما فإذا هما محشُوّان دُوداً! ليس فيهما لحم ألبتة إلا الدُّود! فأتيتُ الروّاس فأخبرته،

(١) سراج الملوك (ص ٢٢).

(٢) معالم الإيمان (٢/ ٢٢٦).

(٣) رياض النفوس (١/ ٥٣٠).

فأطرق متعجبا، ثم قال: ما كنتُ أظن أن في زماننا أحداً يحتمي من الحرام هذه الحماية! تلك الرؤوس كانت من غنم انتهَبها بعضُ العمال.

ثم أعطاني[١] رأسين من غير تلك الغنم، فأتيت بهما أبا عقال فأكلهما، وأخبرته بما قاله الروّاس، فبكى، ثم قال: يا رب ما كان يستحق عبدُك أبو عقال مثلَ هذه الحماية، ولكنه يا رب فضلُك وكرمُك، فلَكَ عليَّ يا رب أن لا آكل طعاما بشهوة أشتهيها حتى ألقاك إن شاء الله! »[٢] انتهى.

وقال أبو بكر بن سعدون: «قال لي أبو عقال: يا أبا بكر، زال من قلبي حب الدنيا إلا حُبَّ النساء، قال: فكنتُ أطوف مُغطى العينين خوف الفتنة، فإذا بامرأة خراسانية نَظَرَتْ إليّ وأنا أطوف، فقالوا لها، هذا رجل من ملوك المغرب طلَّق الدنيا، وبقي في قلبه حبّ النساء، فقالت: أنا أتزوجه، فأرسلتْ إليه، فقال لها: لا أتزوجك حتى تتركي الدنيا بحيث لا يبقى معك منها شيءٌ، مثلي، فأخبروها، فتصدقَتْ بما معها، وتزوجت أبا عقال.

قال [ابن سعدون]: فأقام معها حتى توفي، فدُفنا جميعا بمكة، أبو عقال وزوجته الخراسانية»[٣]. انتهى.

---

(١) أي الروّاس.

(٢) سراج الملوك (ص ٢٢).

(٣) معالم الإيمان (٢/ ٢٢٨-٢٢٩).

بعض شعره وما يتعلق به من أحكام:

قال أبو زيد الدباغ: ولأبي عقال أشعار في الزهد، منها قوله عند توبته:

أبــصَرَ بالقلب سـبيلَ الرشـد
فبايــن الأهــل معــا والولــد
وجــدّ في الســير إلى ربــه
مشــمرا يطلــب مُلــكَ الأبــد
قــد صــارت الدنيــا بأقطارها
عليه كالســجن فمنهــا شرد[١]

انتهى.

وكان أحياناً يُنشــد بعض قصائده التي قالها أيام لهوه وغفلته ثم يُنشــد أشعارا قالها في تكفيرها والتوبة منها، من ذلك ما رواه محمد بن الكاتب الرجلُ الصالحُ، قال: دخلت المســجد الحرام فإذا أنا بابــن غلبون في الحطيم قاعدا، فسلّم عليَّ وعانقني، ثم قال لي: يا ابن الكاتب:

أمــا والأكُفِّ المهديات ســلامَها
إلى مُذْنِــفٍ لم يســتطع أن يُســلّما
وتلك الخدودِ البِيضِ والأعينِ التي
قضَيْنَ لدمعي أن يَفيضَ ويَسجما

---

(١) معالم الإيمان (٢/ ٢١٩).

ثم قال لي: يا ابن الكاتب، استمع قولي في تكفيره، ثم قال لي:

لاح المشـــيبُ بلِمَّتـــي فنعـــاني
ونفـــى الصَّبـــا عنـــي وزمَّ عناني
ونأت خطـــوبُ الحادثات بأسرتي
فبقيـــت منفـــردًا مـــن الأقـــران
فلئن مضى صـــدرُ الزمان بصفوِهِ
فَلَأَخْدِمَـــنَّ لســـيدي المنّـــانِ
ولأقطعـــنّ علائقـــي مِـــن غيرِه
حتـــى أحـــلَّ بســـاحة الميـــدان
ولأنفـــينَّ مطامعـــي وملابـــسي
ولأمنعـــنّ مـــن الـــكلام لســـاني
ولأهجـــرنّ أحبتـــي ومعـــارفي
ولأقطعـــنّ عصابـــة المجّـــان
ولأبكينّ عـــلى الصبـــا ولِمَا مضى
مـــن غـــرني في ســـالف الأزمان
فلعل مَن شـــملَ العِبـــادَ بفضلِه
يُحيـــي الفـــؤادَ بكثرةِ الأشـــجان
يا مـــن إليه حســـنُ ظنـــي قادني
أنـــت المؤَمَّـــلُ عنـــد كل أوان

فامنن عــليَّ بــما أؤمــل منك يا

مُعطي الجميل ومسديَ الإحسان[1]

انتهى.

وله قصيدة يمدح فيها شيخه الزاهدَ أبا هارون الأندلسي، الذي يبدو من خلال القصيدة أنه قد تحلّى بكثير من شــعب الإيمان وأخلاق الصالحين، وفي القصيدة حثٌّ على التخلق بهذه الشمائل، قال أبو بكر المالكي: «وقال أبو عقال يذكر أوصافَ أبي هارون الأندلسي واجتهادَه في الطاعة ودوامَه عليها:

قريــنُ الحُــزنِ، ذو هــمٍّ يجــولُ

أخــو ســهرٍ إذا نــام الغَفــولُ

دؤومُ الكــدِّ، أوّاهٌ إذا مــا

تَذَكَّــرَ مــا تَوَعّــدَهُ الجليــلُ

عَزوفُ النفسِ عن شــهواتِ دارٍ

تميــلُ لهــا القلــوبُ ومــا تميلُ

قريــرُ العــينِ بالإخــوانِ، صبٌّ

غزيــر الدمــع، بسّــامٌ، وصولُ

ســخيُّ الكــفّ، ليس بــما لديه

مــن الدنيا -وإن جلّــت- بخيلُ

---

(١) رياض النفوس (١/ ٥٤١).

رحيب الصـــدر ليس لـــه ادّخار
ولا أهـــلٌ ولا ولـــد يعـــول
فعـــولٌ مـــا يقـــول، وكلُّ أمـــرٍ
يـــدلُّ عليـــه فهـــو لـــه عَمـــولُ
ذكـــيُّ النفـــس ذو عقـــل ولُـــبٍّ
صدوق اللفظ يفهـــم ما يقول[1]

انتهى.

ويقول أبو بكر المالكي أيضًا: «وكان رحمه الله تعالى هوى الشـــعر في أيام حداثتـــه، فلما صار إلى ما صار إليه كان يقولـــه في معنى الزهد ورفض الدنيا، ويندب نفسه فيه، ويصف أحواله التي تقدمت له في حداثته، فمن ذلك قوله:

أيـــا مـــن يـــرى الرشـــد في غيِّه
ويخبـــط في الداجيـــات القتـــادا
تجـــافَ بنفســـك عـــن حتفهـــا
وخـــذ لأمانـــك منـــك القيـــادا
أجـــب داعـــي الله لا تعصـــه
فقـــد جاد بالنصح جهـــرا ونادى
ولا تلْـــهُ بالموبقـــات التـــي
أبـــادت بوائقها من تمـــادى...».

(١) رياض النفوس (١/ ٥٤٣-٥٤٤).

إلى أن يقول في وصف ما كان عليه:

«بلوتُ الزمان، وسستُ القيان

ورُضتُ الجيادَ، ورُعتُ الشدادا

أصيدُ الغزالَ وأم الرئالِ

بطرف أراه يجيد الطرادا

وصعلكت في البر والبحر دهرا

أخلف أهلي عليّ حدادا

أسوم البعاد، وأهوى اللذاذ

وأظهر في الأرض مني الفسادا...».

إلى أن يقول في توبته من ذلك:

« فألزمت نفسي مدى صبرها

وخالفتُها في هواها عنادا

وباينتُ ما كنتُ ألهو به

فأمسى وأصبح عندي سهادا

رضيت بدون الكفاية قوتا

وبالله عن كل خلق عمادا ...».

وختمها بقوله:

« فلم أرَ عيشًا كعَيْش القَنوع
ولم أرَ مثلَ التُّقى لي مُرادا »[(١)].

انتهى.

ولمّا كان أبو عقال معدودا في العلماء الأتقياء، وكان العلماء يروون أخبارَه لتلامذتهم، وانتشرت قصائده: استشكل بعض الفقهاء كيف يذكر أفعالَه القبيحة في قصائده، فكان هذا الحوار العلمي المُفيد:

قال أبو بكر المالكي: « وذكرَ أبو الحسن ابن القابسي رحمه الله تعالى[(٢)] أبا عقال، فحكى كيف كان سبب توبته، ثم أنشد له شعرا يصف فيه أحوالَه التي كان يفعل قبل توبته، فقيل للشيخ أبي الحسن: هل يجوز مثلُ هذا: أن يذكر الإنسانُ أفعالَه القبيحة؟ أما يدخل هذا في حديث ابن عمر الذي قال فيه: «من المجانة أن يعملَ الإنسانُ عملا بالليل فيصبح يخبر به » ؟

فقال الشيخُ أبو الحسن: إن أفعاله كانت ظاهرةً غيرَ مستترة عليه.

فقيل له: وقد أخبر هو بها في شعره لمن لم يكن يعلمها منه !

فقال: إنه لو لم يُخبر بها هو من لم يعلمها؛ لبلَغَتْه من غيره »[(٣)]. انتهى.

---

(١) رياض النفوس (١/ ٥٣٩-٥٤٠).

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، المعروف بابن القابسي، من أهل إفريقية، وكان واسع الرواية، عالماً بالحديثِ وعللِه ورجالِه، فقيهاً أصولياً متكلماً مؤلفاً مجيداً. وكان من الصالحين المتقين الزاهدين الخائفين، وكان مشهوراً بإجابة الدعاء، توفي بالقيروان سنة ثلاث وأربعمائة وقد بلغ الثمانين أو نحوها بيسير، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «ترتيب المدارك» (٧/ ٩٢)، «معالم الإيمان» (٣/ ١٣٤).

(٣) رياض النفوس (١/ ٥٣٦-٥٣٧).

شدةُ احتياطِه للثبات على التوبة:

قال أبو بكر المالكي: « وقيل: إنه كتبــت إلى أبي عقالٍ أختُه من القيروان إلى مكة كُتُبًا كثيرة، بعد توبته وإنابته، تسأله وترغب إليه في الرجوع إلى المغرب لتجتمع به وتُسّرّ برؤيته قبل أن يُفرّق الموتُ بينهما، فكل كتابٍ وصلَ إليه منها ألقاه من يديه ولم يقرأه!

فلـــمّا طال ذلك عليها أوصـــت إليه بغير كتاب، ورغبــت إليه، وقالت: بحق الثدي الذي رضعته معــك إلا أريتني وجهك قبل الموت وفراق الدنيا، مَا لَكَ ؟! في حين صِباك وجناياتك وكثرةِ ما يطرأ علينا بســببك كنتَ عندنا، وحين صرنا نفتخر بك ونتبرك برؤيتك فارقتنا !

فقال لرسولها: قل لها: ما كنتُ لِأَدَعَ بلدًا عرفتُ اللهَ عز وجل فيه وأمضي إلى بلد عصيتُ الله تعالى فيه. أخشى أن تقتضيني العوائد[١].

ثــم قدِمَت عليه أخته بعــد ذلك من المغرب، وأقامــت معه بمكة حتى ماتت»[٢].

(١) وقد مر مثل كلامه هذا تعليقًا في أول ترجمته (ص ٩٩)، وهناك بيان معناه.

(٢) ريــاض النفوس (١/ ٥٣٧)، ثم تكلم المالكي (١/ ٥٣٨) عن مقدمها لمكة، فكان مما قاله: « ثم إنها أقامت معه ما شاء الله تعالى بمكة تتعبد معه، وكانت مجتهدة، ثم توفيت بمكة حرسها الله ».

وفاتُه:

قال المالكي: «وكان سـببُ موته أنه صلى العشاءَ الآخرة، وذلك في شهر رمضان، ثم قمنا لصـلاة التراويح، فصلينا ترويحة أو اثنتين، **فسـجد الناسُ وسجد أبو عقال، ثم قام الناسُ وبقي أبو عقال ساجدًا بحاله، فظنّ من وراءه أنه نام في سـجوده، فلما انقضت الترويحة التي كانوا فيها ذهبوا يحركونه، فإذا هو قد مات**»[١].

وقد مرّ سابقا قول أبي بكر الطرطوشي: **ومات بمكة وهو ساجد في صلاة الفريضة بالمسجد الحرام**، سنة ست وتسعين ومائتين.

قال أبو بكر بن سـعدون: «رأيت على قبر أبي عقـالٍ أبياتا رثته بها أختُه، وهي:

ليت شـعري مـا الـذي عاينتَهُ
بعدَ دَوْمِ الصومِ معْ نفيِ الوَسَنْ؟
معْ نـزوحِ النفسِ عـن أوطانِها
مِـن نعيـمٍ وحميـمٍ وسَـكَنْ
يـا وحيـدًا ليس مـن وَجْدي به
لوعـةٌ تمنعنـي مـن أن أُجـنْ

(١) رياض النفوس (١/ ٥٣٨-٥٣٩).

فكـــما تبــلى وجــوهٌ في الثــرى

فكذا يَبــلى عليهنّ الحَــزَنْ »[(١)].

انتهى.

ولـــه أخبار طويلة، وأشـــعار كثيرة، وهـــي مذكورةٌ في ترجمتـــه، تركتُها اختصارًا.

رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

(١) ريــاض النفوس (١/ ٥٣٨)، وهـــي كذلك في معالم الإيــمان (٢/ ٢١٧-٢١٨) مع اختلافات قليلة في الأبيات، ثم قال الدباغ بعد نقله لها: «وكانت أخته شاعرة».

يعقوب بن إبراهيم البَخْتري

(٢٣٧ ـ ٣٢٢هـ)

أحدُ المحدثين الثقات المُكثرين، ترجم له الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى، فقال:

«يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن البَخْتري، أبو بكر البزاز، يعرف بالجِرَاب[1].

سمع: رزق الله بن موسى، وعلي بن مسلم الطوسي، والحسن بن عرفة.

روى عنه: الدارقطني، وابنُ شاهين، ويوسف بن عمر القواس، وأبو القاسم ابن الصيدلاني المقرئ.

وذكر لي الخلّالُ: أن يوسف القواسَ ذكره في جملة شيوخه الثقات.

قال الحافظ الدارقطني: يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى أبو بكر البزاز، لقبه جِرَاب، كتبنا عنه، كان ثقة مأمونا مكثرًا.

وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد: يعقوب بن إبراهيم الجِراب: ثقةٌ.

---

(١) البَخْتري: بفتح الباء الموحدة، وسكون الخاء المعجمة. انظر إكمال الإكمال لابن نقطة (١/ ٣٦٧، ٣٦٩).

والجراب: بجيم مكسورة وتخفيف الراء، كذا ضبطه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «تبصير المُنتبِه بتحرير المُشتبِه» (١/ ٤٢١).

وفاته:

قال ابن قانع: يعقوب بن إبراهيم البزاز مات في شـــهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة.

وقال غيره: **مات وهو ساجد في ليلة الجمعة**، ودفن يوم الجمعة لثمانٍ بَقين من شهر ربيع الآخر، ومولده في سنة سبع وثلاثين ومائتين»[١]. انتهى.

(١) تاريخ بغداد (١٦/ ٤٣٠)، باختصار وتصرف يسير.

أبو الفضل الحاكم الشهيد

(.... ـ ٣٣٤هـ)

المحدث الحافظ، الفقيه الحنفي العلامة، شيخ أمراء خراسان وعلمائها، محمد بن محمد بن أحمد، أبو الفضل المروزيُّ السُّلَمي البلخي، الشهير بالحاكم الشهيد[(١)].

أسوق ترجمته - باختصار وتصرف يسير - نقلا عن الإمام السمعاني (ت٥٦٢هـ) في ترجمته[(٢)] من كتابه « الأنساب »، قال رحمه الله تعالى:

« أبو الفضل، محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد المجيد بن إسماعيل ابن الحاكم، الشهيرُ بالحاكم، المروزيُّ السُّلميُّ الحنفيُّ، الوزيرُ الحاكمُ الشهيدُ، عالمُ مرو، والإمامُ لأصحاب أبي حنيفة رحمه الله في عصره، وكدخدا[(٣)] صاحب خراسانَ وأستاذُه.

قد كان لما قُلّد قضاءَ بخارى يختلف إلى الأمير الحميد فيُدرسه الفقه، فلما صارت الولايةُ إليه قلّده أزمّة الأمور كلها، وكان يمتنع عن اسم الوزارة، ولم يزل الأميرُ الحميدُ به إلى أن تقلّدها.

(١) ترجمته في: تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٦٨٥)، تاج التراجم لابن قطلوبغا (١/ ٢٧٢)، الجواهر المضية (٢/ ١١٢).

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني (٨/ ١٨٧ - ١٩٢) باختصار وتصرف.

(٣) أفاد محقق الكتاب بأنها كلمة فارسية معناها: رب المنزل، أو والي الناحية.

رحل في طلب الحديث، وسمع كثيرا من العلماء بمرو، ونيسابور، والري، وبغداد، والكوفة، ومكة، ومصر، وبخارى.

ثم سمع مشايخُ خراسانَ قاطبةً وأئمتُها من الحاكم الشهيد.

وقال الحاكم أبو أحمد الحافظ: الحاكم الشهيد كَتَبَ الحديثَ على رسمنا لا على رسم المتفقهة، وكان يحفظ الفقهيات التي يحتاج إليها، ويتكلم على الحديث، قلت[١] لأبى أحمد: كان يبلُغنا أن ذلك الكلام كلامك على كتبه! فقال: لا والله، إلا كلامُه ونتيجةُ فهمه، وأما أنا فجمعت له حديثَ أبي حمزة السكري وإبراهيم بن ميمون الصائغ وجماعة من شيوخ المراوزة.

وذكر أبو عبد الله الحاكمَ الشهيدَ قال: عهدتُ الحاكمَ وهو يصوم الاثنين والخميس، ولا يدع صلاةَ الليل في السفر والحضر، ولا يدع التصنيف في السفر والحضر، وكان يقعد والسفط والكتب والمحبرة بين يديه وهو وزير السلطان، فيأذنُ لمن لا يجد بُدًّا من الإذن له، ثم يشتغل بالتصنيف، فيقوم الداخل.

ولقد شكاه أبو العباس ابن حمويه وقال: ندخل عليه ولا يكلمنا، ويأخذ القلم بيده ويدعنا ناحية.

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: وقد حضرتُ عشيةَ الجمعةِ مجلسَ الإملاءِ

(١) ليس القائل هو السمعاني قطعاً، لأن ولادته بعد وفاة الحاكم الشهيد، وأظنه ينقل من كتاب «تاريخ نيسابور» - وهو كتاب مفقود - للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري صاحب «المستدرك على الصحيحين» (ت ٤٠٥هـ)، وبدليل قوله بعد قليل: «وذكر أبو عبد الله»، والله أعلم.

للحاكمِ أبي الفضل، ودخل أبو علي بن أبي بكر بن المظفر الأميرُ، فقام له قائما، ولم يتحـــرك من مكانه، وردّه من باب الصفة، وقال: انصرف أيها الأمير فليس هذا يومك.

قـــال الحاكم أبو عبد الله [ابن] البَيّع: وســـمعت أبـــا العباس المصري – وكان من الملازمين لبابه– يقول: دعا الحاكمُ يوما بالبواب والمرتب وصاحب السر، فقال لثلاثتهم: إن الشـــيخ الجليل يقول: قد تقدمتُ إليكم غيرَ مرة بأن لا تحجبوا عني بالغدوات والعشـــيات أحدا من أهل العلم الرحالة أصحاب المرقعـــات والأثواب الرثة، واحجبوا الفرســـانَ وأصحـــابَ الأموال، وأنتم لأطماعكـــم الكاذبة تأذنون للأغنياء، وتحجبون عنـــي الغرباء لرثاثتهم، فلئن عدتم لذلك نكّلتُ بكم.

وفاته:

وحكى ابنُ الحاكم الشهيد: أنه لم يزل يدعو في صلاته وأعقابها بدعوات، ثم يقول: اللَّهمّ ارزقني الشـــهادة! إلى أن سمع عشية الليلة التي قُتل من غدها جَلَبةً وصوتَ الســـلاح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: غوغاء العســـكر قد اجتمعوا يؤلبون، ويُلزمون الحاكمَ الذنبَ في تأخير أرزاقهم عنهم، فقال: اللَّهمّ غُفرا!

ثم دعا بالحلاق فحلق رأســـه، وسخّن له الماء في مصرية، وتنوّر، ونظّف نفسه، واغتســـل، ولبس الكفن، ولم يزل طول ليلته تلك يصلي، فأصبح وقد اجتمعوا إليه.

فبعث السـلطانُ إليهـم يمنعهم عنه، فلـم يَقبلوا، فخذلـوا أصحابَ السلطان، وكَبَتوا الحاكم **فقتلوه وهو ساجد رحمه الله.**

واستشـهد الحاكم على باب مرو، وقد اغتسـل، ولبـس الكفن، وصلى صلاة الصبح والكتب بين يديه، وهو يصنف بضوء الشـمس، في شـهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وكان رحمه الله حفظ ستين ألفا من حديث رسول الله ﷺ، وتصانيفه تدل على كمال فضله، كالكافي، والمنتقى، وشرح الجامع، وأصول الفقه». انتهى.

علي بن محمد الطوسي

(من أهل القرن الرابع الهجري)

أحدُ الزهاد، ترجم له ابنُ عساكر استطرادًا في آخر ترجمته لابنه الزاهد أبي نصر السرّاج عبد الله بن علي الطوسي (ت٣٧٨هـ).

قال الحافظ ابنُ عساكر رحمه الله تعالى:

«علي بن محمد بن يحيى، أبو الحسين السراج، الطوسي، من جملة مشايخ طوس، وفتيانِهم، وزهادِهم.

مات بنيسابور وهو ساجد.

وله بطوسٍ عَقِبٌ باقٍ، ابنُه المعروف بأبي نصر السراج، وهو [أي الابن] المنظورُ إليه في ناحيته في الفتوة ولسان القوم وفهمِ أحكامهم وعلومهم، مع الاستظهار بعلم الشريعة والكتاب والسنة، وهو من بقية مشايخهم، مات أبو نصر في رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة»[1]. انتهى.

وفي «تاريخ الإسلام» للذهبي في ترجمة ابنه أبي نصر عبد الله بن علي السراج: «قال السُّلمي: كان أبو نصر من أولاد الزهاد، وكان المنظورَ إليه في ناحيته في الفتوة ولسان القوم، مع الاستظهار بعلم الشريعة، وهو بقيةُ مشايخهم اليوم، ومات في رجب، **ومات أبوه ساجداً**»[2].

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١/ ٧٤-٧٥).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٨/ ٤٥٢).

هذا، ولم أقف على تاريخ وفاة أبي الحُسين السراج، ولا على أخباره، فكان أهـــمُّ أخباره هو تربيتــه واهتمامه بابنه الذي صار إمامًــا في الزهد والتقى من بعده[1]، رحمهما الله تعالى.

(١) انظر ترجمة ابنه أبي نصر السراج الطوسي في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١/ ٧٤)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٨/ ٤٥٢).

أبو بكر الباطِرْقاني المُقرئ

(.... ـ ٤٢١هـ)

الشيخ العالم العابد الصالح، أحد الأئمة في القراءات، والحافظين للروايات.

قال الذهبي في ترجمته[١]: «عبد الواحد بن أحمد بن محمد، الشيخ أبو بكر الباطِرْقانيّ[٢]، الأصبهاني، المقرئ.

إمامٌ في القراءات، حافظٌ للرّوايات، ....، يروي عن: الطبرانيّ، وأبي الشيخ، وأبي حامد أحمد بن محمد بن حسين الجُرجانيّ، وعنه: أبو عبد الله الثقفي الرئيس، وأبو منصور وأحمد بن محمد بن علي شيخا السلفي، وجماعة ». انتهى.

وذكره الإمام السمعاني في كتابه «الأنساب»[٣]، وترجم له، فقال:

«أبو بكر، عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس، الباطِرْقانيّ، كان أحدَ القُرّاء المُجَوِّدين، أَلَّف، وكان من أهل العبادة والعلم والخير.

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) قال السمعاني في «الأنساب» (٢/ ٣٩): « الباطِرْقانّي: بفتح الباء، وكسر الطاء المهملة، وسكون الراء، وفتح القاف، وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى باطرقان وهي إحدى قرى أصبهان، كان منها جماعة من القراء والمحدثين».

(٣) «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٩-٤٠).

وفاته:

ذكره يحيى بن أبي عمرو بن منده في كتـــاب أصبهان، فقال: عبد الواحد الباطِرْقـــانيّ كان إمامًا في القـــراءات، حافظًا للروايات، قُتـــل في الجامع أيام مسعودٍ ســـنة إحدى وعشرين وأربعمائة، في جمادى الآخرة، وقيل: في رجب، وقيل: **قُتل في داره وهو ساجد في فتنة الخراسانية.**

قلت – والقائل السمعانيّ –: وكانت هذه فتنةٌ عظيمةٌ بأصبهان، قُتل فيها جماعةٌ من العلماءِ والصلحاءِ وأهلِ الخيرِ ». انتهى.

رحمه الله تعالى، ووقانا اللهُ شرورَ الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وحفظ الله بلادنا وسائر بلاد المسلمين.

جعفر بن الحسن الدَّرْزِيجاني

(.... ـ ٥٠٦هـ)

وصفه الحافظ الذهبي بـ: «الإمام، شيخ الإسلام، أبو الفضل جعفر بن الحسن، الفقيه الحنبلي، المقرئ، صاحب القاضي أبي يعلى»[١].

وأسوق ترجمته هنا كما ذكرها الإمام الحافظ الفقيه الواعظ عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، قال في ترجمته[٢] رحمهما الله تعالى:

« جعفر بن الحسن الدَّرْزِيجانيّ[٣]، المقرىء، الفقيه، الزاهد.

ذكره القاضي أَبُو الحسين فيمن تفقه على أبيه، وعَلّق وسَمع الحديث.

قال ابن شافع[٤] في تاريخه: هو الأمّار بالمعروف، والنَّهَّاء عن المنكر،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤١٤)، وانظر ترجمته فيه، وفي «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢/ ٢٥٧)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١١/ ٧٦)، «شذرات الذهب» (٦/ ٢٦)، وغيرها.

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٢٥٣-٢٥٦) باختصار وتصرف يسير.

(٣) « الدَّرْزِيجاني: بفتح الدال المهملة، وسكون الراء، وكسر الزاي، وتحتية ساكنة، وجيم، نسبة إلى دَرْزِيجان، قرية ببغداد ». قاله ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٦/ ٢٦).

(٤) هو: أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم، أبو الفضل ابن أبي المعالي، الجيلي ثم البغدادي، الإمام الحافظ الثقة الورع، له تاريخ على السنين من وفاة أبي بكر الخطيب يذكر فيه الحوادث والوفيات، ولم يُبَيّضه »، انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٣٣٤).

ذو المقامات المشـــهودة في ذلـــك، والمَهيب بنور الإيـــمان واليقين لدى الملوك والمتصرفين.

صحـــب القاضي أبـــا يعلى، وتفقه عليـــه، ثم تَمَّمَ عـــلى صاحبه الشريف أَبي جعفر.

وختم عليه القرآنَ خلقٌ لا يُحصَون كثرة.

وكان من عبـــاد الله الصالحين، أَمَّارًا بالمعروف، قَـــوّالاً بالحق، ناهيا عن المنكـــر، لا تأخـــذه في الله تعالى لومة لائم، مهيبا وقورا، لـــه حرمةٌ عند الملوك والســـلاطين، ولا يتجاسر أحد أن يقدم عليه إذا أنكر منكـــرا، وله المقامات المشهودة في ذلك.

[وكان] مُداوما للصيـــام والتهجُد والقيام، له ختـــمات كثيرة جدا، كل ختمة منها في ركعة واحدة.

وسمع الحديثَ من أبي علي ابن البنّاء.

وفاته:

توفي في الصلاة ساجداً، في شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسمائة، بِدَرزِيْجان.

رحمه الله تعالى.

عبد الرحمن بن يوسف بن خير الصقلّي

(... ـ ٥٢٦هـ)

شيخ مُسنِدٌ، صالح، عابد، خَيِّر، محب للعلماء، ومتواضع لطلب العلم على كِبر سنّه، وكان يتردد على الحافظ أبي طاهر السِّلَفي (ت٥٧٦هـ) في ثغر الإسكندرية يسمع منه الحديث، فترجم له في بعض كتبه وأثنى عليه خيرًا، فقال ما مُختصَرُه[1]:

« سمعتُ أبا القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن خير الصقلي بالثغر يقول: سمعت أبا الفضل عبد الله بن الحسين بن الجوهري بمصر في مجلس وعظه يقول:

بعين الله ما تُخفي البيوتُ
وإن طال التجملُ والسكوتُ

ابنُ خير هذا كان معجونًا من الخير، صالحا، مُسنّا، حافظًا لكتاب الله، كثيرَ التلاوة، مُحِبًا للعلم وأهله.

وكان يتردد إليَّ على كِبر سنه لقراءة شيء من الحديث.

وفاته:

وتوفي في شوال، سنة ست وعشرين وخمسمائة، **في صلاة العصر وهو ساجد رحمه الله** ». انتهى.

---

(١) انظر «معجم السفر» للحافظ أبي طاهر السِّلَفي الأصبهاني (ص ١٧٤-١٧٥) باختصار يسير.

أبو بكر المَزْرَفي

(٤٣٩ - ٥٢٧هـ)

الشيخ المُقرئ، المسنِد، الفرضي، الحنبلي، محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن عبد الله، أبو بكر، ويعرف بالمَزْرَفي[1]، والمعروف أيضًا بالحاجي[2].

ولد أبو بكر في سلخ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، قرأ القرآن بالقراءات وجوّدها على جماعة من أصحاب الحمامي، وسمع الحديث الكثيرَ من ابن المهتدي، وابن الصريفيني، وطائفة.

وأقرأ القرآنَ، وروى الحديثَ، وتفرد بعلم الفرائض.

وسمع منه الحديثَ من الحفّاظ: ابنُ الجوزي وابن عساكر وأبو موسى المدينيُّ وابن ناصر وغيرهم.

قال ابن الجوزي: وكان ثقة، ثبتًا، عالمًا، حسنَ العقيدة.

---

(١) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٥/ ١٢١): «المَزْرَفة: بالفتح ثم السكون، وراء مفتوحة، وفاء: قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ». ثم ذكر صاحبَنا أبابكر المزرفي ضمن المنسوبين إليها وترجم له.

قال ابن الجوزي في «المنتظم» (١٧/ ٢٨٠): «ولم يكن من المَزْرَفة، وإنما كان [أبوه] انتقل إلى المَزرفة أيام الفتنة، فأقام بها مدة، فلما رجع قيل له المَزرفي».

(٢) ترجمته في: المنتظم لابن الجوزي (١٧/ ٢٨٠)، معرفة القراء الكبار للذهبي (ص ٢٦٩)، العبر في خبر من غبر (٢/ ٤٣١)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٣١)، تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ٤٦٥)، شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٣٥).

وذكر ابنُ ناصر أنه كان مُقرئَ زمانه.

وفاته:

مات ساجدًا في أول سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وله ثمان وثمانون سنة، ودفن بمقبرة باب حرب.

رحمه الله تعالى.

القاضي أبو عبد الله ابن الحاج القرطبي

(٤٥٨ ـ ٥٢٩هـ)

هو « شــيخ الأندلس ومفتيها، وقاضي الجماعة، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن خلف بن إبراهيم بن لُب التُّجِيبي، القرطبي، المالكي، ابن الحاج »[١].

قــال تلميذه الحافظُ ابن بَشْــكُوال القرطبي الأندلــسي (ت ٥٧٨هـ) : « محمــد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لُبّ بــن بيطير التُّجِيبي، يُعرف بابن الحاج، قاضي الجماعة بقرطبة[٢]، يكنى أبا عبد الله.

روى عــن أبي جعفر أحمد بــن رِزق الفقيه، وتفقه عنــده، وقيَّد الغريبَ واللغةَ والأدبَ على أبي مروان عبدِ الملك ابنِ سراج.

---

(١) حلاّه بهذه الأوصاف الإمامُ الذهبي أثناء ترجمته في ســير أعلام النبلاء (١٩/ ٦١٤)، وانظر ترجمتــه في: الصلة لابــن بشــكوال (ص ٥٥٠)، تاريخ الإســلام للذهبي (١١/ ٤٩٣)، بغية الملتمس (ص ٥١)، تاريخ قضاة الأندلس (ص١٠٢).

وهو غيرُ ابن الحاجّ المالكي صاحب كتاب «المدخل»! واســمه أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسيّ، توفي سنة ٧٣٧هـ، فبينهما قرنان من الزمان.

(٢) ووظيفة (قاضي الجماعة) عند المغاربة هي نفسُها وظيفة (قاضي القضاة) عند المشارقة، حيث يُوكَل إلى صاحبها الإشرافُ على القضاء في الدولة، وتعيينُ القضاة، والحِسبةُ، وما يتصلُ بذلك من مهامٍّ، فيكون صاحبُها ذا سُــلُطات تشريعية وقضائية وتنفيذية أيضًا، وقد تُضاف إليه بعض المهام العســكرية أو السياســية أو المدنيّة، فهي وظيفة عالية جدا في الدولة في ذلك الوقت.

انظر: «موســوعة الإدارة العربية الإســلامية» (١/ ٢٨٤ وما بعدها، ٣٣٦، ٣٨٠، ٤١١، ٤٩٠)، كــما تُعلم المهام الوظيفية لهذه المناصب من النظر في تراجم من تولاها في المشرق والمغرب.

وسمع من أبي عبد الله محمد بن فرج الفقيه، ومن أبي علي الغَسّاني وأكثر عنه، وأبي القاسم خلف بن مدير الخطيب، وخازم بن محمد، وأبي الحسن العبسي، وأبي الحسن بن الخشاب البغدادي، وغيرهم.

وكان من جِلة الفقهاء، وكبار العلماء، معدودًا في المحدثين والأدباء، بصيرًا بالفتيا، رأسًا في الشورى، وكانت الفتوى في وقته تدور عليه؛ لمعرفته وثقته وديانته.

وكان معتنيًا بالحديث والآثار، جامعًا لها، مُقيّدًا لما أشكل من معانيها، ضابطا لأسماء رجالها ورواتها، ذاكرا للغريب والأنساب واللغة والإعراب، وعالما بمعاني الأشعار والسِّير والأخبار.

قَيّد العلمَ عمره كله، وعني به عناية كاملة ما أعلم أحدا في وقته عني به كعنايته، قرأتُ عليه وسمعتُ، وأجاز لي بخطه.

وكان له مجلسٌ بالمسجد الجامع بقرطبة يُسمِعُ الناسَ فيه.

وتقلد القضاءَ بقرطبة مرتين، وكان في ذاته ليّنًا، صابرًا، طاهرًا، حليمًا، متواضعًا، لم يُحفظ له جَورٌ في قضية، ولا مَيل بهوادة[1]، ولا أصغى إلى عناية[2].

وكان كثيرَ الخشوع والذكر لله تعالى.

---

(١) الهوادة هنا بمعنى الرخصة والمحاباة (تاج العروس ٩/ ٣٥٤)، فلم يكن يُحابي أحدًا في قضائه.

(٢) أي لم يكن يلتفت إلى وصية أحد بالاهتمام ببعض الخصوم، وهي بمعنى سابقتها في عدم المحاباة والمداراة.

وفاته:

ولم يزل آخر مدته يتولى القضاءَ بقرطبة إلى أن قُتل ظُلمًا بالمســجد الجامع بقرطبة، يوم الجمعة، **وهو ساجد**(١)، لأربع بقين من صفر سنة تسع وعشرين وخمس مائة، ودفن عشي يوم الســبت بمقبرة أم ســلمة، وصلى عليه ابنُه أبو القاسم، وشــهده جمعٌ عظيمٌ من الناس، وأتبَعوه ثناءً حسنًا، ومولده في صفر سنة ثمان وخمسين وأربع مائة »(٢). انتهى.

قال العالم الفقيه القاضي الخطيب ابن الحســن النُّباهي الأندلسي في كتابه « المرقبة العليا فيمن يســتحق القضاء والفتيا »(٣) في بيان المكانة العلمية لابن الحاج: « وكتابُه في(٤) نوازل الأحكام المتــداولُ لهذا العهدِ بأيدي الناس: من الدلائل على تقدمه في المعارف وبراعته، تغمدنا وإياه برحمته ». انتهى.

رحمه الله تعالى رحمةً واسعة.

---

(١) وذلك في الركعة الأولى من صلاة الجمعــة، انظر «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» (ص ٥١).

(٢) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (ص ٥٥٠).

(٣) والذي يُعرف أيضا باسم «تاريخ قضاة الأندلس» (ص ١٠٢).

(٤) من الأصل (من) ولعلها تصحيف.

علي بن المسَلَّم أبو الحسن السُلَمي الشافعي

(٤٥٢ ـ ٥٣٣هـ)

هو «الشيخ الإمام العلامة، مفتي الشام، جمال الإسلام، أبو الحسن علي بن المُسَلَّم بن محمد بن علي بن الفتح السُّلَميُّ، الدمشقيُّ، الشافعيُّ، الفَرَضيُّ»[١].

كان أحدَ المشايخ الأعلام بالشام، ومن المذكورين بالعلمِ والنُّصحِ للمسلمين وحسنِ الأخلاق، تتلمذ على بعض الأعلام، وتتلمذ عليه أعلامٌ كذلك.

وممّن أخذ عنه واستفاد، وترجم له فأجاد: حافظُ الدنيا في وقته، ومؤرّخُ دمشق، الحافظُ الإمامُ ابنُ عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ) رحمه الله تعالى، وكلُّ من ترجم لأبي الحسن جمالِ الإسلام فهو عالةٌ على ابن عساكر وينقل عنه، فأسوق ترجمته من «تاريخ دمشق» ببعض اختصار.

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى[٢]:

«علي بن المسلَّم بن محمد بن علي، أبو الحسن ابن أبي الفضل السُلَميّ، الفقيهُ الشافعي الفَرَضي.

---

(١) حلّاه بهذه الأوصاف الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمته من سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣١)، وانظر ترجمته في تاريخ دمشق (٤٣/ ٢٣٦-٢٣٨)، تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص٣٢٦)، تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ٥٩٩)، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٧/ ٢٣٥)، وغيرها من المصادر.

(٢) انظر «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٢٣٦-٢٣٨).

سـمعَ أبا الحسـن ابن أبي الحديد، وأبا نصر الحسين بن محمد بن طلاب، وعبد العزيز بن أحمد الصوفي، ...، وغيرهم.

وتفقّه على القاضي أبي المُظفّر المـروزي، وعلى الفقيه أبي الفتح المقدسي، وأعـاد له الدروس[1]، وجالس الشـيخ الإمام أبا حامد الفرّان وسـأله عن مسائل.

وبلغني أن الغزاليَّ كان يُثني عليه ويصفه بالعلم، وقال: خلّفتُ بالشـام شابّاً إن عاش كان له شأن. فكان كما تفرّس فيه رحمه الله، ودَرَّس في حلقته في الجامع مدة.

ثم ولي المدرسـة الأمينية سنة أربع عشرة وخمسمائة، ولم يزل يدرُس بها إلى أن مات.

سـمعنا منه الكثيرَ، وكان ثقـةً، ثبتًا، عالمًا بالمذهـب والفرائض، يتكلم في مسـائل الخِلاف ويُكثر من إيراد الأحكام، وكان قـد حفظ كتاب «تجريد التجريد» الذي صنفه أبو حاتم القزويني.

وكان حسنَ الخط، موفَّقًا في الفتاوى، وعلى فتاويه كان اعتمادُ أهلِ الشام، واشتهر ذكره في العراق اشتهارًا كثيرًا حتى كانت تأتيه الفتاوى منها.

---

(١) أي أنه كان معيدًا عنده، والمعيد هو الطالب النبيه المتقدم على أقرانه، فيُكلّفه الأسـتاذ أو علماء المدرسـة بإعادة الدرس على الطلبة فيـشرح لهم ما غمض عليهم من شرح الأستاذ، وربما ناب عن الأستاذ في الدرس إن غاب.

وكان مواظبًا عــلى قضاء الحقوق، من حضور عقــود الأنكحة، وعيادةِ المرضى، وشــهودِ الجنائز، مثابرا على التدريس والإفــادة، مُحبا للرواية ونشر الحديث، مُحَبّبا إلى أصحابه لحسن خلُقه وجميلِ طريقتِه.

وله مُصنفات في الفقه والفرائض والتفسير، أكبرُها كتاب سماه «الاستغناء في المذهب» مات قبل أن يُتمه، وكتابٌ في التفســير ســماه «التجريد في تفسير القرآن المجيد» مــات ولم يُتمه، وكان يَعقدُ مجلسَ التذكــير، ويُورد فيه إيرادًا كثيرًا، ويذكر أشــياءَ مُستحسنةً مستفادةً، ويُظهر السُّــنةَ، ويرُد على من أنكر الحقَّ، رحمةُ الله عليه ورضوانُه فإنه لم يُخلف بعده مثلَه، ...».

وفاته:

قال الحافظ ابنُ عساكر: «سألتُ أبا الحسن الفقيهَ عن مولده، فقال: كان خالي يذكر أن مولدي سنة خمسين، وكانت والدتي تذكر أن مولدي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

ســمعتُ بعضَ أصحابِنا يذكرُ أنّ الفقيهَ أبا الحسن مَرض مَرْضة شديدة أيس منه فيها، فدخل عليه بعضُ الفقهاء فأنشده:

يــا رب لا تبقنــي إلى أمــد
أكــون فيــه كلّا عــلى أحــدِ
خــذ بيــدي قبــل أن أقــول لمن
أراه عنــد القيــام خــذ بيــدي

فاستحسن البيتين وكتبهما بخطه وكرر قراءتهما، فاستجيب له، فمات بعد أن أَبَلَّ[1] من تلك العلة بمدة، من غير أن يمرض مرضاً يحتاج فيه إلى أحد.

فتوفي صباح يــوم الأربعاء، ثالث عشر ذي القعدة ســنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، **ســاجداً في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح**، وكان قد صلى وِرده في تلك الليلة من قيام الليل، ودُفن بمقبرة الباب الصغير عند قبور الصحابة.

شهدتُ دفنَه والصلاةَ عليه رحمه الله، وكان له مشهدٌ حسنٌ». انتهى كلام الحافظ ابن عساكر، رحمهما الله تعالى.

(١) أي نجا وبرئ منها وتحسّنت صحّته. انظر «القاموس المحيط» (ص ٩٦٨) مادة بلل.

ابنُ قُرْقُول

(٥٠٥ ـ ٥٦٩هـ)

الحافـظ، الفقيه، الأديب، النحـوي، الصالح الفاضـل، الرحالة، «أبو إسـحاق، إبراهيم بن يوسـف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديـس بن القائد الحمـزي[١]، المعروفُ بابـن قُرْقُول، صاحب كتاب «مطالـع الأنوار» الذي وضعه على مثال كتاب «مشارق الأنوار» للقاضي عياض »[٢].

قال فيـه الحافظ المـؤرخ العلامـة ابن الأبّـار البَلَنْـسي الأندلسي (ت٦٥٨هـ): «... وكان رحّالا في طلب العلم، حريصًا على لقاء الشـيوخ، فقيهًا نظّارًا أديبًا حافظًا، يُبصر الحديثَ ورجالَه، وقد صنّف وألّف، مع براعة الخط وحُسن الوِراقة.

حدّث، وأخذ عنه الناسُ، ولم يزل بمالقة إلى أن انتقل منها إلى سبتة في سنة أربع وستين، ثم إلى سَلَا، وتوفي بمدينة فاسٍ، ... »[٣].

وقـال ابن خلـكان: « كان من الأفاضـل، وصحب جماعـةً من علماء الأندلس»[٤].

---

(١) الحمزي: نسـبة إلى بلدة حمزة، وهي بُليدة بإفريقية، وتقع حاليًّا في تونس، وأصله من هناك، ولكنّه وُلد في المَرِيّة وهي مدينة أندلسية كبيرة على ساحل البحر.

(٢) وفيات الأعيان (١/ ٦٢).

(٣) التكملة لكتاب الصلة (١/ ١٣١).

(٤) وفيات الأعيان (١/ ٦٢).

وقال فيه الحافظ شمسُ الدين الذهبي: « وكان من أوعية العلم، له كتاب «المَطالع على الصحيح» غزيرُ الفوائد، انتقل من مالقة إلى سبتة، ثم إلى سَلَا، ثم إلى فاس، وتصدر للإفادة، وكان رفيقا لأبي زيد السُّهيلي وصديقا له، فلما فارقه وتحول إلى مدينة سَلا نظم فيه أبو زيد أبياتًا، وبعث بها إليه، ...»[1]، وذَكر الأبيات، وسنورد بعضَها بعد قليل.

وقال فيه تلميذُه الحافظُ المؤرخ الأديبُ ابنُ دحية الكلبي: «الفقيه، الإمام، المحدث، الأصولي، النحوي، اللغوي، ...، قرأ حديثَ رسول الله ﷺ وأتقنه على أبي جعفر بن عَزْلون صاحب القاضي أبي الوليد الباجي، وعلى القاضي الإمام أبي القاسم ابن ورد، وروى صحيحَ مسلم عن أبي عبد الله بن زُغيبة الكلابيّ، يرويه عن العُذري.

ورحل إلى شرق الأندلس للقاء الأستاذ العالم إمام النحو والآداب، والشارح للحديث والفقه والأصول والأنساب، أبي محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البَطَلْيُوسي، فقرأ عليه كتابَ «التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة»، وهو كتاب حسن.

وأنشدنا شيخُنا هذا الفقيهُ أبو إسحاق إبراهيمُ بن يوسف الحمزي - يعرف بابن قُرقول - في سفرةٍ صحبتُه فيها سنة أربع وستين وخمسمائة - وأجاز لي جميعَ رواياته - قال: أنشدنا الأستاذُ النحوي أبو محمد ابن السيد لنفسه:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٢٠-٥٢١).

أخــو العلمِ حــيٌّ خالدٌ بعــدَ موتِه
وأوصالُــه تحــتَ الــترابِ رميــمُ
وذو الجهل مَيْتٌ وهْو ماشٍ على الثَّرى
يُظَــن مــن الأحيــاء وهــو عديمُ

وشيوخُ شيخِنا جملةٌ عديدةٌ، وتصانيفُه متقَنة مفيدة»[١]. انتهى.

وقد ترجــم ابنُ دحيــة الكلبي للإمــام السُّــهَيلي - صديق الحافظ ابن قرقــول -، وذكر بعض ما أفاد منــه، فكان مما قال[٢]: «وأنشــدني أيضاً يُخاطب شــيخَنا المحدثَ الفقيهَ اللُّغويَّ النحويَّ الأصوليَّ أبا إسحاق إبراهيم ابن يوســف -يُعرف بابن قرقول - أيامَ كونِه بمدينة سبتة، فلما رحل منها إلى سلا، قال مرتجلاً:

ألاَ فسَــلا عمّــن عهــدتُ تحفيــا
وهل نافعي إن قلتُ من لوعة سَــلَا
سَــلَا عن سَــلَا إن المعارفَ والنُّهى
بهــا فدعــا أمَّ الرَّبــاب ومأسَــلا
بكيــتُ أســىً أزمــانَ كان بســبتةٍ
فكيــف التــأسّي حــين منزلُه سَــلَا

... ». إلى آخر الأبيات.

---

(١) المطرب في أشعار أهل المغرب، لابن دحية الكلبي (ص ٢٢٤-٢٢٦).
(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب (ص ٢٣٥).

وفاته:

قال ابنُ دِحية: « مولدُ شـيخِنا بمدينةِ المَرِيّة سـنة خمس وخمسمائة، وتوفي رحمه الله بمدينة فاس يوم الجمعة بعد الصلاة، في أول وقت العصر السـادس من شـوال سنة تسع وستين وخمسمائة، **وهو يتلو سـورة الإخلاص، يكررها بسرعة، ثم تشهد ثلاث مرات وسقط على وجهه ساجداً، فَرُفع ميّتًا.**

وذلك بعد خروجه من الحمّام، وحَلْقِ رأسِـه، واستحدادِه، واستعدادِه للقاء ربِّه جلّت قدرته »(١).

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

(١) المطرب من أشعار المغرب (ص ٢٢٥).

سعد بن عثمان المصري

(...ـ ٥٩٢ هـ)

أحد الفقهاء الزهاد الصالحين من السادة الحنابلة، رحل من بلاده مصر إلى بغداد من أجل مسألة واحدة يتعلمها ويريد تحقيقها، فمكث في بغداد واستوطنها إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

ترجم له الإمام الفقيه الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله فقال[١]: « سعد ابن عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام، القرشي، المصريُّ المولدِ البغداديُّ الدارِ، الفقيه الزاهد، أَبُو الحسين ابن الشيخ أبي عمرو المتقدم ذكره[٢]، خرج من مصر قديما، واستوطن بغداد، وقد سبق في ترجمة أبيه سبب قدومه إلى بغداد[٣]، وتفقه بها في المذهب على أبي الفتح ابن المَنِّيّ[٤]، ولازم درسه،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤١٧-٤٢١)، ومنه أسوق ترجمته ببعض اختصار، وانظر ترجمته أيضا في تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٩٧٦).

(٢) ترجم ابن رجب للشيخ أبي عمرو في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٢-٢٣١)، وذكر أنه كان فقيها صالحا ربانيًّا، توفي بمصر سنة ٥٦٤ هـ وقد جاوز السبعين رحمه الله تعالى.

(٣) وذلك من أجل مسألة واحدة اختلف فيها علماء مصر فأراد أن يتعلمها ويحققها على علماء بغداد، انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٢٢٧).

(٤) هو نصر بن فِتيان بن مطر، العلامة ناصح الدين أبو الفتح ابن المَنّي - بفتح الميم وتشديد النون وكسرها - النهرواني، فقيه حنبلي بارع في المذهب، قال ابن النجار: «كان ورعا عابدا حسن السمت، على مِنهاج السلف»، ولد سنة ٥٠١هـ، وتوفي سنة ٥٨٣هـ، وقد أوصى أن يُصليَ على جنازته سعدُ بنُ مرزوق كما سيأتي. انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٧٦٨).

وســمع من أبي محمد ابن الخشاب وغيره، وحصل له القبول التام من الخاص والعام، وكان ورعا زاهدا عابدا.

قرأتُ بخط ناصح الدين ابن الحنبلي في حقه: كان مشــتغلا بحفظ كتاب «الوجهين والروايتين» تصنيــف القاضي أبي يعلى، وكان من الزهد والصلاح والتطهير والتورع في المأكول على صفة تُعجز كثيرًا من المجتهدين في العبادة.

وكان يمشي مُطرق الــرأس، يلتقط الأوراق المكتوبة، حتى [إذا] اجتمع عنده من ذلك شيء كثير فيحمله بحمال إلى الشاطئ فيتولى غسله، ويرسله مع الماء.

وكان لا يستقضي أحداً حاجةً إلا أعطاه أجره، ولو أشعل له سراجاً، ...، قدم بغداد وســكن برباط الشيخ عبد القادر، وما كان يقبل من أحد شيئا، ولا يغشى باب أحد من السلاطين، كان يُنفَذُ له في كل عام شيءٌ من مُلك له بمصر يكفيه طول سنته ...،

وكان الشــيخُ ســعدٌ كثيرَ البكاء والخشــوع، قال ابن النجار: كان عبداً صالحاً مشــهوراً بالعبادة والمجاهدة والورع، والتقشــف والقناعة والتعفف، وكان خشِــنَ العيش، مُخشوشنا، كثيرَ الانقطاع عن الناس، وكان على غاية من الوسوسة والمبالغة في الطهارة!

قال ابن النجار: حَدَّثني سعيد بن يوسف بن سعيد المقرىء قال: سمعتُ ســعدَ المصريَّ الزاهد يقول: تجشّــأت مرة، فصعد إلى حلقي شيء من الجشأ،

فغسلت حلقي ثلاث مرات وابتلعته، ثم غسلت فمي ثلاث مرات أُخر وأبصقه!

قلت [والقائل ابن رجب الحنبلي]: سامحه الله تعالى، هذه زلة فاحشة.

قال المنذري: كان يُحمل إليه ما يَقتات به من مصر من جهة كانت له بها.

وقيل: إن شيخه ابنَ المَنّيّ لما احتُضر أوصى أن يصليَ عليه الشيخُ سعد، ...

وفاته:

قال المنذري: توفي في سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، **ساجدًا في صلاته**، ودفن من الغد، ...، وذكر ابنُ النجار: أنه كان قد قَرَأ يومَها[1] في الصلاة التي توفي فيها: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩]». انتهى.

وزاد الذهبي: «مات في صلاة الظهر، وكان قد تلا فيها: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩]»[2].

وذكروا أن جنازته كانت مشهودةً، وأنه قد صُلّي عليه عدة مرات بسبب ازدحام الناس عليه، رحمه الله تعالى.

---

(١) في المصدر (يوما) ولعله تصحيف.

(٢) تاريخ الإسلام (١٢/ ٩٧٦).

قاضي العسكر، ابن الأبيض الحلبي

(٥٦٠ ـ ٦١٤ هـ)

العالم الفقيه الحنفي، القاضي ابن القاضي، الشيخ المحدث، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن الخضر.

ترجم له محيي الدين عبد القادر القرشي الحنفي في موضعين من كتابه، فقال[١]:

« ابن الأبيض، محمد بن يوسف بن الخضر بن عبد الله، الحلبي، أبو عبد الله، ويُعرف بقاضي العسكر.

مولده في صفر سنة ستين وخمسمائة بحلبٍ ونشأ بها، وتفقّه على والده يوسف، وعلى العلامة أبي بكر الكاشاني صاحب «البدائع»، وعلى برهان الدين مسعود.

تفقه عليه أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الصاحبُ كمالُ الدين ابنُ العَدِيم مؤرخُ حلب (ت ٦٦٠هـ)[٢]، سمع وحدّث بمصر من أبي الحسن علي ابن الفضل المقدسي، مات في رمضان فجأة سنة أربع عشرة وست مائة بحلب، رحمه الله تعالى ». انتهى.

وقد ترجمه الحنفي في موضع آخر قبل هذا، فقال[٣]:

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ٣٩٠).

(٢) ونقل وروى عنه كثيرًا في كتابه الحافل «بغية الطلب في تاريخ حلب».

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ١٤٦- ١٤٧).

« محمد بن يوسف بن الخضر بن عبد الله الحلبي، عُرف بابن الأبيض، الشهيرُ بقاضي العسكر، ...، كان والده نائبًا عن قاضي القضاة محيي الدين ابن الزكي، وتولى قضاء العساكر ثم انتقل إلى حلب ودرّس بالشاذبختية[1].

وولد بحلب في صفر سنة ستين وخمس مائة، وتوفي في شهر رمضان سنة أربع عشرة وست مائة، وهو القائل:

ألا كُلّ مَـنْ لا يقتـدي بأئمـةٍ
فقسمتُه ضيزى عن الحق خارجهْ
فخذهم عبيـدُ الله عروةُ قاسـمٌ
سعيدٌ أبو بكرٍ سليمانُ خارجهْ [2]

---

(١) المدرسة الشاذْبَخْتيّة: إحدى مدارس السادة الحنفية بحلب، أنشأها الأمير جمال الدين شاذْبَخْت، الخادم الهنديّ الأتابكيّ، كان نائباً عن نور الدين محمود بحلب، وكان أولَ من تولى التدريس فيها الإمامُ الفقيه موفق الدين بن النحّاس إلى أن توفي سنة ٦٠٢هـ، ثم تولى التدريس فيها من بعده صاحبُنا القاضي شمس الدين ابن الأبيض إلى أن توفي. انظر: «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» لابن شدّاد (ت ٦٨٤هـ).

(٢) هذان بيتان مشهوران جدًا، نُظم فيهما أسماءُ الفقهاء السبعة المشهورين من كبار التابعين بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام، وهم – على ترتيب البيتين –: عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت ٩٤هـ)، عروة بن الزبير بن العوام (ت٩٤هـ)، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت١٠٦هـ)، سعيد بن المسيب بن حَزْن (ت٩٣هـ)، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (ت٩٤هـ)، سليمان بن يسار، مولى ميمونة الهلالية أم المؤمنين (ت١٠٧هـ)، خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (ت١٠٠هـ). رحمهم الله تعالى أجمعين.

وفاته:

قال المنـــذري في «التكملة»: مات فجأة، صلى التراويح وســـلّم ومات، وقيل: **إنه توفي وهو ساجد.**

قال: وسمع بحلب من والده، وبدمشق من أبي طاهر بركات الخشوعي، وقدم مصر وســـمع بها من الحافظ علي بن المفضل المقدسي، ودرّس بدمشـــق بمسجد خاتون وغيره، وحدّث، رحمة الله عليهما ». انتهى.

كمال الدين ابن مهاجر

(...- ٦٣٤هـ)

المسند، التاجر، المُنفق السخيُّ: محمد بن علي بن مهاجر، الصاحبُ، كمالُ الدين، أبو الكرم الموصلي[١].

قال الحافظ الذهبي: « قدم دمشق وسكنها. وسمع من يحيى الثقفي بالموصل، ومن ابن طبرزد بدمشق. روى عنه: الزكي البرزالي، وغيره، وحدثنا عنه أبو علي ابن الخلال »[٢].

قال الصفدي: « قدم دمشق وسكنها، وسمع وروى، قال نجم الدين ابن السائق: سكن في دار ابن البانياسي، وشرع في الصدقات وشراء الأملاك ليوقفها، ...»[٣].

وقال ابن كثير: « كان كثيرَ الصدقات والإحسان إلى الناس، مات فجأةً في جمادى الأولى بدمشق، فدفن بقاسيون، واستحوذ الأشرف[٤] على أمواله، فبلغت التركةُ قريبا من ثلاثمائة ألف دينار، من ذلك سبحة فيها مائة حبة، كل واحدة مثل بيضة الحمامة »[٥].

---

(١) وقد أفادني بهذا العالِمِ الساجدِ: شيخُنا د. محمد مطيع الحافظ جزاه الله خيراً.

(٢) تاريخ الإسلام (١٤/ ١٥٦).

(٣) الوافي بالوفيات (٤/ ١٢٤).

(٤) هو الملك الأشرف موسى بن العادل، باني دار الحديث الأشرفية، توفي سنة ٦٣٥هـ، انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير (١٧/ ٢٣١ وما بعدها).

(٥) البداية والنهاية (١٧/ ٢٣٠).

وقال الذهبي: « وروى عنه القــوصي في « معجمه »، فقال: الوزير كمال الدين ابن الشــهيد معين الدين، كان من ســادات الكرام في زمانه، مســتغنيا بأمواله عن أموال السلطان، باذلا إنعامه للإخوان، مديما لهم مد الخوان »[١].

وفاته:

تقدم قــول ابن كثــير: « مات فجــأة في جمادى الأولى بدمشــق، فدفن بقاسيون ».

وقال الحافظ الذهبي: « توفي في مســتهل جمــادى الآخرة، ...، **توفي يوم الجمعة وهو ساجد في صلاة الصبح** »[٢].

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

(١) تاريخ الإسلام (١٤/ ١٥٧).

(٢) تاريخ الإسلام (١٤/ ١٥٧).

ضياء الدين القرطبي

(٦٠٢ ـ ٦٧٢هـ)

أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف، الأنصاري، القرطبي، الأديب الفاضل الشاعر الناثر.

ذكره النويري في موسوعته «نهاية الأرب في فنون الأدب» فوصفه بـ: « الشيخِ الإمام الفاضل، ضياء الدين أبي العباس أحمد، ابن الشيخ الإمام العابد القدوة أبى عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم الأنصاريّ القرطبيّ رحمه الله، وكانت وفاتُه بقِنا من أعمال قوص في سنة اثنتين وسبعين وستمائة »[1].

وقال الأديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي: « كان عالمًا، فاضلًا، أديبًا كاملًا، ناظمًا ناثرًا، له رئاسةٌ ومكارم وعلوٌّ همة »[2].

وترجمه كمالُ الدين الأُدْفَوِيُّ وأجاد، فقال -ببعض اختصار- :

« أحد الرؤساء الأعيان الأكابر، أرباب المناقب الجمّة والمآثر، وأصحاب علوّ الهمة، ونفاذ الكلمة، المشهورين بمكارم الأخلاق، المقصودين من الآفاق، عالمٌ فاضلٌ، وأديبٌ كاملٌ، وناظم ناثرٌ، تنطق بفضله ألسنة الأقلام وأفواه المحابر.

---

(١) نهاية الأرب للنويري (٨/ ٥١).

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي (٧/ ٢٢١).

سـمع الحديث بمكة ومـصر وغيرِهما، فسـمع من: زاهر بن رسـتم الأصبهـاني، وأبي عبد الله محمد بن إسـماعيل بن أبي الصيـف اليمنيّ، ومن الحافظ أبي الحسن ابن المُفَضَّلِ المقدسيِّ، ومن أبي عبد الله الحسينِ بنِ المبارك: ابنِ الزبيدي.

وحدّث [و]سـمع منه جماعةٌ، منهم: السيّد الشريف أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبـد الرحمن، المنعوتُ عز الدين الحسـيني النَّقيب، وقاضي القضاة سعدُ الدين مسعود بن أحمد الحارثي الحافظ الحنبلي، وعبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي السعدي، وغيرُهم.

قال الشريف: كان أبو العباس فاضلا، وله النظم الجيد والنثر الحسن، مع ما كان عليه من الكرم والإيثار، والإحسان إلى من يرِدُ عليه.

وقال القاضي سـعد الدين الحارثي: كان أحدَ الأعيان النبلاء، والشيوخِ الفضلاء، وقال: قرأت عليه كتابَ الترمذيِّ كلَّه، وكان ثقةً مرضيًّا.

وذكره شيخُ شيخنا الأستاذُ أبو جعفر ابن الزبير، وقال: رحل مع أبيه من الأندلس في سـنّ الصغر، وكان بالبلاد يُشـار إليه في البلاغة والتقدم في علم الحديث والفضل التامّ، وأخذ الناسُ عنه بالمشرق والمغرب.

وهـو وهمٌ من الأسـتاذ، فإنه وُلد بمصر، ولم يكـن في علم الحديث كما وَصَف، وقد نبَّه على الوهم الحافظُ أبو الفتح القشيري[1]، وقد وهم فيه أيضًا

(١) هو الإمام الشـهير محمـد بن علي بن وهب، تقـي الدين ابن دقيق العيد القُشـيريّ (ت٧٠٢هـ) رحمه الله تعالى، وقد ترجم له الأدفوي ترجمة جيدة في كتابه هذا «الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد» (ص٥٦٧-٥٩٩).

جماعة من المتأخرين، وقالوا فيه: يُعرف بابن المزيّن، وشبيهُ الوهم: أبو العباس أحمد القرطبي مُختصِرُ صحيح مسلم وصحيح البخاري، وصاحبُ كتاب «المُفْهم»، فهو كبير في العلم، ومقدم في علم الحديث، وهو يُعرف بابن المُزيّن.

والقرطبي القِنائيُّ هذا مُقدّمٌ في الأدب، متمسك منه بأقوى سبب، وأكثرُ مُقامه بقِنا، وتوفي بها، وله بها ذرّيّة.

وكان يُكاتبُ الرؤساءَ الأعيانَ من الأمراء والوزراء والقضاة، وله تَرَسُّلٌ، جمع منه مجلدة وقفتُ عليها.

وأخبرني من يوثق به أنه لمّا تزوّج بقِنا عمل شيئًا كثيرًا، فقال له أبوه - وكان من العلماء الصالحين -: أرسلتَ إلى الشيخ الحسن بن عبد الرحيم[١] شيئًا؟ فقال: لا، فقال: ما يحمله إلا أنت، فأخذَ طبَقًا على رأسه، وحمله إلى الشيخ الحسن، وأخبر أباه بذلك، فدعا له أن يرفعَ اللهُ قدرَه.

وكتبتُ له من ترسُّله هذا الكتابَ، جوابَ الشيخِ تقيِّ الدين ابنِ دقيقِ العيد؛ لما تضمنّه من البلاغة، وأوله بعد البسملة: يخدم المجلس العالي العالمي صفاتٌ يقف الفضل عندها، ويقفو الشرف مجدَها، وتلتزمُ المعالي حمدَها، ...».

إلى آخرها، وهي طويلة قريبةٌ من عشر صفحات، ساقها الأدفوي بما فيها من نثر وشعر رائق.

---

(١) هو السيد الشريف أبو محمد الحسن بنُ عبد الرحيم بن أحمد بن حَجُّون، القِنائيُّ، المالكيُّ، أحد العلماء الصالحين، توفي سنة (٦٥٥هـ)، وترجم له الأدفوي في «الطالع السعيد» (ص٢٠٣-٢٠٦).

وفاته:

قال الأدفوي رحمه الله تعالى: « وُلد رحمه الله تعالى في رابع عشر رجب سنة اثنين وستمائة بمصر، وكانت وفاتُه بقِنا سنة اثنتين وسبعين وستمائة، كذا أرّخَ عبدُ الغفار بن عبد الكافي، وقال الشريف عز الدين: توفي في النصف الأول من شوّال، **وذكر البرزالي أنه توفي وهو ساجدٌ** ».

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

كمال الدين الرصافي

(٦١٥ ـ ٦٩٥هـ)

المسند الصالح الزاهد[1]، سمع منه الحافظُ الذهبي وترجم له في بعض كتبه، فقال:

« عبد الله بن محمد بن نصر بن قوام بن وهب، العدل، الصالح، الزاهد، كمال الدين، أبو محمد الرصافي، ثم الدمشقي.

حدَّث في العام الماضي[2] «بشرح السنة» و «معالم التنزيل» للبغوي، عن القزويني.

وسمعنا منه في هذه السنة[3] «صحيحَ البخاري» عن ابن الزبيدي[4].

وروى أيضاً عن عمه أبي الفتح ناصر، ووالده، وأبي موسى عبد الله ابن الحافظ.

وكان من خيار الشيوخ ديناً وأمانةً وصيانةً ورزانةً، وقد شهد على القضاة من قديم، وسمع منه سائر الطلبة »[5].

---

(١) وقد أفادني بهذا العالِمِ الساجدِ: شيخُنا د. محمد مطيع الحافظ جزاه الله خيراً.

(٢) أي في سنة ٦٩٤هـ.

(٣) أي سنة ٦٩٥هـ.

(٤) وانظر أسانيده في هذه الكتب الثلاثة في «ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد» لتقي الدين الفاسي (٢/ ٦٤-٦٥)

(٥) تاريخ الإسلام (١٥/ ٨١٥).

وفاته:

قـــال الذهبي: « ولد في رجب ســـنة خمس عشرة وســـتمائة، وتوفي بكرة الجمعة سابع ذي القعدة، فقيل: **إنه صلى وسجد لله ومات** »[١].

وقال في موضع آخر من كتبه: « ولد سنة خمس عشرة وست مائة، وسمع القزوينيَّ، وابنَ الزبيـــدي، ووالده، وغيرَهم، وهو من شـــيوخنا في صحيح البخاري، **مات ســـاجداً** في ذي القعدة سنة خمس وتســـعين وست مائة »[٢].

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

---

(١) تاريخ الإسلام (١٥/ ٨١٥).

(٢) معجم الشيوخ الكبير (١/ ٣٤٠).

موسى بن علي الزرزاري

(٦٥٨ ـ ٧٣٠هـ)

هو الشيخُ المُقرئ المُفسّر المسنِدُ، العالم الصالح، ابن العلماء والقضاة، موسى بن علي بن موسى بن يوسف بن محمد الزرزاريُّ، ضياءُ الدين القطبي[1].

قال الصفدي رحمه الله تعالى في ترجمته في «أعيان العصر»:

«موسى بن علي بن موسى بن يوسف بن الأمير محمد شرف الدين الزرزاري.

أخبرني من لفظه شيخُنا أثير الدين قال: هذا المذكور مولده بإربل في ثالث عشري جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وستمائة، وذكر لي أن أباه قاضي القضاة بإربل، وأن جدَّه أيضًا كان قاضيًا.

وهو رجلٌ ساكنُ النفسِ، حسنُ الصورةِ، عنده فضائلُ من فقهٍ وأدبٍ وغير ذلك.

وذكر لي أنه سمع الحديثَ، وأنه قرأ على الكَوَاشي[2] «التفسيرَ الصغيرَ»،

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة (٦/ ١٤٣)، أعيان العصر وأعوان النصر (٥/ ٤٧٨)، ذيل التقييد (٢/ ٢٨٢).

(٢) هو الإمام العلامة الزاهد الكبير، أحمد بن يوسف بن حسن الشيباني الكواشي الموصلي، كان بارعا في القراءات والتفسير والعربية، وصنّف التفسير الكبير والتفسير الصغير، وتوفي سنة ٦٨٠ هـ، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٥/ ٣٨٥).

وســـمع عليه كثيرًا من «التفســـير الكبير»، وأنه ســـمع ببغداد من ابن الفُوَيْرة والقَلانِسي.

وذكر لي أنه نظم «الوجيز»، وأنشدنا منه أبياتاً.

وأنشدنا لنفسه من أبيات:

تواضعْ تكن كالنجمِ استبانَ لناظرٍ
على صفحـــات الماء وهـــو رفيعُ
ولم يكُ[1] كالدُّخَّان يرفعُ نفسَـــه
إلى طبقـــات الجوِّ، وهْـــو وضيعُ

قال: وأنشدنا لنفسه، وقد تردد الى بعض أهل الجاه بمصر مرارا:

لئن عادَ موسى واقفًا باب هامانِ
على كِبْره حتى انقضت منه عامانِ
فقد قـــام في أبوابِ فرعـــونَ قبلَه
على كفره، في مصرَ موسى بنُ عمرانِ

قلتُ [والقائل الصفدي]: أظنه المعروف بالقطبي، ويلقب ضياء الدين، كان يخطب بجامع الأمير كراي بالحســـينية، ومتصدرا لإقراء الســـبع بالجامع الظاهري بالحسينية أيضا.

وكان من العلماء الصلحاء، واتفق الناس على الثناء عليه.

---

(١) كذا في المصدر، وفي الدرر الكامنة (ولا تكُ)، وهو الصواب إن شاء الله تعالى.

وفاته:

وتوفي **رحمه الله تعالى وهو ســـاجد في الصلاة،** في حادي عشر شهر رجب سنة ثلاثين وسبعمائة، وكانت جنازته حافلةً إلى الغاية، ودفن بزاوية الشيخ ابن معضاد.

وحدث عن ابن عَزُّون، والنجيب عبد اللطيف، ومن في طبقتهما، وأجاز لي في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة ». انتهى.

رحمه الله تعالى.

أحمد بن مظفر النابلسي ثم الدمشقي

(٦٧٥ ـ ٧٥٨هـ)

المحدث الحافظ الثقة الصالح، أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن المظفر، شهابُ الدين النابلسي ثم الدمشقي، سبطُ الحافظ زين الدين خالد[1].

مولده في ليلة الأربعاء السادس والعشرين من رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة، وجدّ في طلب الحديث واجتهد، فسمع من خلق كثيرين رجالاً ونساء حتى بلغ شيوخُه سبعَمائة شيخ، فسمع بدمشق من زينب بنت مكي، وعبد الرحمن ابن يوسف البعلبكي، وببعلبك من القاضي تاج الدين عبد الخالق، والشيخ شرف الدين اليُونِيني، وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهم.

وحدّث، فسمع منه العلماء الأعيان، والأصحاب والأقران، منهم: الحافظ شمس الدين الذهبي -وهو رفيقُه في الطلب-، وقاضي القضاة تاج الدين السبكي، وصلاح الدين الصفدي، وغيرهم.

قال الحافظ أبو محمد البِرْزالي: «محدث فاضل، حسن القراءة للحديث، وعلى ذهنه فضيلةٌ وفوائدُ وأسماءٌ وأنسابٌ وأشياءٌ تتعلق بالفن، ثُمَّ ترك

---

(١) ترجمته في: المعجم المختص بالمحدثين للذهبي (ص٤٢)، معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ١٠٤)، معجم الشيوخ للسبكي (ص: ١٤٣) وما بعدها، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (١/ ٣٩١- ٣٩٣)، ذيل التقييد (١/ ٤٠٢)، الدرر الكامنة (١/ ٣٧٦)، ومن مجموع هذه المصادر كتبت ترجمته.

وانقطع، وتفرد بأجزاءٍ وأشياءٍ، ولم يتزوج قطُّ[١]، وكان يحُبُّ الخلوةَ والانجماع»[٢].

ووصفه الحافظ الذهبي في «المعجم المختص» بـ: «المحدث الحافظ العالم».

وأثنى عليه تلميذه صلاح الدين الصَّفَدي جدّاً، وبيّن منزلته العلمية، وكشف عن بعض أخلاقه الزكيّة، فقال: «الشيخ الإمام الحافظ الثبت المسند الحجة، ...، كان ثبتا، حافظا، متقنا، تخالُه بالدر لافظا، متحريًا لا متجرئًا، متحلياً بالقناعة، عن الدنيا متخليا، لا يزاحم الناس في دنياهم، ولا يسعى مسعاهم، قد قنع من العيش بالبَرْض[٣]، وتخيّل أنه قد ملك الأرض، وكان لا يحدث إلا من أصوله، ولا يتَّكل إلا على محصوره في محصوله ...»، إلى أن قال: «وكان مُنجمعاً عن الناس، مجموع ماله في الشهر ما يزيد على العشرين درهما، رحمه الله تعالى».

---

(١) وبهذا، يكون الحافظ ابنُ المظفر ضمنَ العلماء العزاب، وقد صنّف فيهم العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ت١٤١٧هـ) رحمه الله تعالى كتابًا جمع فيه خمسة وثلاثين عالماً وعالمةً، ولم يَذكر فيهم ابنَ المظفر؛ فيُزاد عليه، وسيأتيك أيضاً (ص ١٧٨) ضمن من توفي وهو ساجد عينَ القضاة اللكنويَّ، وهو أيضًا يدخل في العلماء العزاب ولم يُترجم له الشيخ رحمه الله في كتابه فيُزاد عليه أيضاً، مع أنه لم يُرد استقصاءهم، وقد سبق من العلماء العزاب: أبو هارون الأندلسي، شيخ أبي علوان بن الحسن المتقدم، انظر التعليق (ص ١٠٠).

(٢) قوله (ثم ترك وانقطع ...) إلخ، زاده الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» (١/ ٣٧٦) أما البقية فاختصروا قولَ البرزالي.

(٣) البَـرْض: بالضاد المعجمة في آخره، أي القليل، (القاموس المحيط، ص٦٣٧)، وفي المصدر بالصاد المهملة وهو تصحيف.

وفاته:

قال الصفدي: « وتوفي في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، ومولده سنة أربع، وقيل: سنة خمس وسبعين وستمائة.

وتوفي رحمه الله تعالى ولم يكن عنده في بيته أحد، ففُقد بعد ثلاثة أيام أو أربعة، ففُتح عليه الباب ودخلوا إليه، **فوجدوه ساجداً وهو ميّت**.

أخبرني نور الدين أبو بكر أحمد بن علي بن المقصوص الحنفي، وكان به خصيصا، قال: كان دائما يقول: **أشتهي أن أموت وأنا ساجد، فرزقه الله ذلك**، وصُلِّي عليه بالجامع الأموي في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول »[١]. انتهى.

رحمه الله تعالى.

(١) أعيان العصر وأعوان النصر، للصفدي (١/ ٣٩٢-٣٩٣).

الشريف علي بن الحسن العواني

(... ـ ٧٥٨ هـ)

هو « أبو الحسن، علي بن عبد الله الشريف، العواني القيروانيُّ، الشيخ الفقيه العـالم العامل القاضي العادل من بيت علم وفضل، تولى قضاء القيروان، أخذ عن الرماحِ، وابنِ عبدِ السلام -وبه تفقه-، وغيرِهما، وعنه الشيخُ الشبيبيُّ، وغيرُه. توفي في ربيع الأول سنة ٧٥٧ هـ »[١].

وترجم لـه تلميذُ تلاميـذِه العلامةُ ابـنُ ناجي التنوخـيُّ المالكي (ت ٨٣٩هـ) رحمهما الله تعالى في تكميله لكتاب الدباغ «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان»، فأسوق منه ترجمته للعواني ببعض اختصار.

قـال ابن ناجي رحمه الله تعالى: «أبو الحسـن علي بن حسـن بن عبد الله الشريف، يعرف بالعواني. قرأ على الشـيخ الرماح، وقرأ بتونس على الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد السـلام الهواري، وقرأ القراءات السـبع على الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن عبد العظيم بن صالح الهواري الوسلاتي الأصل، التونسي المولد، وعليه تفقّه شيخنا أبو محمد الشبيبي[٢].

---

(١) شـجرة النور الزكيـة في طبقات المالكية (١/ ٣٢٣)، وسـيأتي في قـول ابنِ ناجي - وكلامُه أرجحُ - أنه توفي سنة ٧٥٨هـ رحمهم الله تعالى أجمعين.

(٢) أبو محمد الشـبيبي: تلميذُ العواني، وشيخُ ابن ناجي التنوخي، ترجم له العلامة محمد مخلوف المالكي في «شجرة النور الزكية» (١/ ٣٢٤)، فقال: «أبو محمد عبد الله بن محمد ابن يوسف البلوي الشبيبي القيرواني: الشـيخُ، الصالحُ، الفقيهُ، الفاضلُ، القدوةُ، العـالمُ، العاملُ، قرأ بالقيروان على أبي الحسـن العواني - وعليـه اعتماده -،...، =

وكان فقيهًا، صالحًا، ناسكًا، سخيًّا، مجتهدًا في تعلم العلم.

وكان يدرس في المسجد المعروف بالمسجد المعلق على الحلفاويين.

وتولى العدالةَ بالقيروان، والقضاءَ بها، والفتيا، والإمامةَ بالجامع الأعظم، الصلواتِ الخمسَ والخطبةَ.

قال أبو محمد عبد الله الشبيبي: وكان يناديني، فأصعد لعلوه، فيأتي بإناء الطعام في يده اليمنى، وإناء الماء في اليسرى. وبعث ورائي مرة، وأحضر شاهدين معي، ومشى إلى الدار المعروفة بدار محمد ابن حمص، فوهبني إياها، وحُزتها، وكانت دارًا مُعتبرةً.

[قال ابن ناجي:] فباعها بثمانين دينارًا ذهبًا، وانتفع بثمنها.

وبلغني عمّن نثق به أنه أعطاه مرة أخرى اثنين وثلاثين دينارًا ذهبًا دفعة واحدة، وقال: هذه لقطتُّها لك من وجوه، فأخذها. فهو ومن قرأ عليه حسنة من حسناته؛ لأنه أعانه على قدر جهده بما ذُكر. وعليه تفقّه ودرّس في مرضه في حياته بإذنه.

وقال شيخنا الشبيبي: كان رحمه الله تعالى يُكثر في درسه الحكايات المقتضية للحال، وكنت نتزاهد فيها، ونقول: إن احتجتُ إليها أنقلُها من الكتب. فلما جلستُ للتدريس لم أجد أكثرَها، فندمتُ على عدم كَتْبي لها.

= وعنه جماعةٌ، منهم: البُرْزُليُّ، وابنُ ناجي ...، أقام نحواً من خمس وثلاثين عاماً يدرس. توفي في صفر سنة ٧٨٢ هـ». انتهى.

وقال بعض أصحاب الشيخ أبي الحسن [له]: يا سيدي، أريد منك قضاء حاجة، قال: ما هي؟ قال: إذا اجتمع عندك خواص البلد لأمر ما، من قائدٍ وشهودٍ وأمناءَ وغيرِهم، تأذن لي أن أجوز إليك، ونشق وسطهم، ونقول لك في أذنك: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، فتقول لي: صدقت، فنقول لك: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾، فتقول لي: صدقت، وهكذا إلى آخرها، فيعتقد الحاضرون أن لي جاهًا عندك؛ فنعظُم في أعينهم؛ لنقضي حوائج الناس، وأنت تعلم أني لا آخذ على ذلك دينارًا ولا درهمًا. فأجابه إلى ذلك، ولم يعلم بذلك أحدٌ إلى أن مات.

وحبّس رحمه الله تعالى دارًا مُعتبرةً تساوي في زماننا اليوم مائتي دينار ذهبًا لسُكنى الفقراء والطلبة بها ممن يقرأ القرآن والعلم.

وفاته:

وتُوفي الشيخ أبو الحسن بالقيروان، بعد أن مرض أيامًا، في سجوده في صلاة العشاء الآخرة، في أواسط شهر ربيع الأول سنة ٧٥٨، ودُفن بزاويته، رحمه الله تعالى ورضي عنه ». انتهى.

عبد الرحمن بن عبد العزيز النويري المالكي

(... ـ ٨٤٥ هـ)

الشيخ العابد الخيِّر، طلب العلمَ، ودرس الفقه والنحو، وكان يرحل للحج ويجاور بمكة ويرجع لبلده، ثم يحج ويجاور، وينشغل في البلد الحرام بالعبادة والعلم.

ثم نشأ ابنُه على العلم، والأحفاد من بعدُ كذلك.

ترجم له الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى، فقال:

« عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم ابن الشهيد الناطق عبد الرحمن الرضي بن العز بن الشمس الهاشمي، العَقِيليُّ[1]، النويري، المالكي، نزيل مكة، ووالد علم الدين محمد الآتي[2].

ولد بالنويرة من الصعيد، وانتقل مع أمه إلى الفيوم، فحفظ بها القرآنَ، والعمدةَ، والرسالةَ، وألفيةَ النحوِ، ثم عاد بعد كِبَره إلى بلده.

وحج غيرَ مرة، وجاور، وسمع بها من الزين المَراغي، ثم قدم مكة في موسم سنة أربع وأربعين [وثمانمائة]، وجاور التي تليها، **فأدركه أجلُه بها**

(١) ينتهي نسبه إلى عَقِيل بن أبي طالب.

(٢) وترجم له (٧/ ٢٩١)، ثم ترجم لابن محمدٍ هذا: يوسف (١٠/ ٣٣١)، فهم أسرة علمية.

وهو ساجد بالمســجد الحرام، في ذي الحجة منها فحمل إلى بيته فجهز ثم دفن بالمعلاة، وكان خَيّراً ساكناً»[١]. انتهى.

رحمه الله تعالى.

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ٨٤-٨٥).

محمد بن أحمد البدري الشافعيّ

(٧٧٦ ـ ٨٦٧ هـ)

هو الفقيه، المُقرئ، المُسند، الصالح، ابنُ الخلّال، شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد البدري، المصريّ، الشافعيّ.

طلب العلم على كثير من شيوخ عصره بمصر، وأدرك منهم أكابرَ، وأجازوه، وتنوع في اهتماماته العلمية ودراسته، فشارك في كثير من العلوم النقلية والعقلية، وبرع في علم الميقات والفلك، مع صلاحٍ وتقوى وزهدٍ وحُسنِ خلُق.

وقد أهّله تنوعُ معارفِه وعلمُه بالفقه لكثير من الوظائف والمناصب، فكان يقبل منها التدريس والخطابة، ويعتذر كثيرًا عن القضاء لورعه، ولم يقبله إلا مرةً بعد إلحاح.

أدركه الحافظُ السخاويّ وأفاد منه، فترجم لـه في كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»[1]، فقال ما مختصره:

« محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر البدر، أو الشمسُ بن الشهاب ابن البدر بن الصدر، المصريُّ، الشافعي، ويُعرف بابن الخَلّال - بمعجمةٍ ثم لام مشددة -.

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٧/ ٨٣-٨٤).

وُلد في ربيع الأول سنة ست وسبعين وسبعمائة بمصر، ونشأ بها، فحفظ القرآن، و«العمدةَ»، و«التنبيهَ»، و«ألفيةَ النحو»، وغيرَها، وعرض على البُلقينيّ وابنِ الملقنِ والفخرِ القاياتي، وأجازوا له.

وتلا لأبي عمرو على الشيخ مظفر، ثم لنافع وغيره على الجلال -ولم ينسبه-، وتفقه بالنورَين الأدمي والبكري، والشمسِ بنِ القطان، والبُلْقِينيِّ -قرأ عليه في الخروبية وغيرها-، وقال: إنه لازمه عشرَ سنين، وقصد الكمالَ الدَّميري للأخذ عنه، فقال له: مكانُك بعيد، والأولى أن تجمع ما يُشكل عليك ثم تراجعني فيه.

وأخذ العربيةَ عن ابن القطان والأدمي، وعلمَ الحديث عن الزين العراقي، وعلمَ الفلك عن ابن ادريس، ولازم العز بن جُماعة كثيرا، وأخذ عنه الأصول والعربية والفقه وغيرها، وحضر في المنطق عند البساطي وغيره، ...

وسمع على الصلاح الزفتاوي، وناصرِ الدين ابن الفرات، والمطرز، والأبناسي، والعراقي، والهيثمي، والنجم البالسي، والسويداوي، والفخر القاياتي، والشرف القدسي، وآخرين.

وباشر بمصر عدةَ وظائف، ودرّس وخطب بمدرسة ابن سويد، ثم استُدعيَ لفُوَّة[1] في سنة أربعين، وقُرر في الخطابة والتدريس بجامع

---

(١) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/ ٢٨٠): « فُوَّةُ: بالضم ثم التشديد، ...، بُلَيْدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أو ستة، وهي ذات أسواق ونخل كثير». اهـ.

ابن نـــصر الله بها، وتصدى للتدريس والإفتاء، فانتفـــع به غيرُ واحد من أهل تلك الناحية وغيرها.

وناب في القضاء هناك عن الســفطي، مع امتناعه من قبوله عن من قبله وبعده، لمزيد إلحاح المشار إليه عليه فيه[1].

وقد لقيته بفُوَّةَ، وقرأتُ عليه أشياء، وكان فقيهًا، حافظا للمذهب، مشاركًا في الفنون، بارعًا في الميقات، طارحًا للتكلف، خَيّرًا، مُتواضعًا، متقشّفا.

وفاته:

مات وهو ســاجد بِفُوَّة، في عصر يوم السبت حادي عشر رمضان، سنة سبع وستين [وثمانمائة] ».

رحمه الله تعالى.

(١) أي لمزيد إلحاح السفطي على البدر في تولي القضاء.

محمد بن سليمان الجزولي

(... - ٨٧٠ هـ)

الشيخ الصالح، العالم العامل، الفقيه المالكي، أحد المشاهير بالمغرب، أبو عبد الله، محمد بن سليمان، الشريف الحسني، الجزولي، دفين مراكش[1].

سافر في البلاد لطلب العلم وتحصيله، وأخذ عن الأعلام، وكان يحفظ المختصر الفقهي لابن الحاجب في فروع المالكية، ثم تفرغ للعبادة واعتزل الناس فترة طويلة، ثم خرج وتصدر للإفادة بعدها، فاجتمع عليه من التلاميذ أكثر من اثني عشر ألفًا، من أعلامهم: الشيخُ العلامة أحمد زروق، وأحمدُ بن عمر الحارثي المكناسي، والشيخُ عبد العزيز بن عبد القادر التبّاع، وأبو عبد الله محمد الصغير السهيلي.

وقد وَضع مصنفات يسيرة في الزهد والأذكار، منها «دلائل الخيرات» الذي انتشر جداً بين الناس وتداوله العلماء شرقًا وغربًا، حتى اشتهر أكثرَ من شهرة صاحبه، وصار الجزولي يُعرف بكتابه هذا.

---

(١) اعتمدت في هذه النبذة من ترجمته على المصادر التالية: «نيل الابتهاج» (ص ٥٤٥)، و«كفاية المحتاج» (ص ٤٢٩)، كلاهما لأحمد بابا التنبكتي، و«شجرة النور الزكية» لمحمد مخلوف (١/ ٣٨٠)، و«إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال» لعباس ابن إبراهيم السملالي التعارجي (٢/ ٥٧١)، جذوة الاقتباس لابن القاضي المكناسي (ص ٣١٩)، «درة الحجال في أسماء الرجال» لابن القاضي المكناسي أيضًا (٢/ ٢٩٧)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٥١)، وللزركلي أوهام في ترجمته سيأتي التنبيه عليها آخر الترجمة.

قال الفقيه المؤرخ ابن القاضي المكناسي (ت ١٠٢٥هـ) رحمه الله تعالى: « محمد بن سليمان الجزولي، الشريف الحسني، دفين مراكش، دخل مدينة فاس بقصد قراءة العلم وتحصيله، وكان يسكن بمدرسة الحلفاويين، وبها ألّف كتابَه المسمى دلائل الخيرات، ولم أقف الآن على وفاته »[١].

وقد وصفه أحمد بابا التنبكتي في «كفاية المحتاج» بقوله: « الجزولي -صاحب دلائل الخيرات-: محمد بن سليمان الجزولي، الشيخ الفقيه العالم الولي الصالح، صاحب «دلائل الخيرات» في الصلاة على النبي ﷺ، الذي عمّ نفعه »[٢].

وقال محمد مخلوف: « الفقيه، الإمام، شيخ الإسلام، علم الأعلام، العالم العامل، العارف بالله »[٣]. انتهى.

وكان حريصًا على إخماد الفتن وتحقيقِ السِّلم والإصلاحِ بين الناس، ويتحمّل في ذلك المسؤوليات الكبيرة، من ذلك ما يذكره التنبكتي في ترجمته من «نيل الابتهاج»[٤]، حيث قال: «وكان ببلده وقت قتالٍ انفصل فيه الصفان

(١) جذوة الاقتباس (ص ٣١٩)، ثم قال في «درة الحجال في أسماء الرجال» (٢/ ٢٩٧): « الفقيه الصالح، الشهير بمراكش، له دلائلُ الخيرات، توفي في سادس عشر ربيع النبوي سنة ٨٧٠» ا.هـ.

(٢) كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ص ٤٢٩)، وهذا الكتاب مختصر لكتابه الآخر «نيل الابتهاج».

(٣) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٣٨٠).

(٤) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص ٥٤٥).

عـــن قتيل تبرأ كلٌّ مِـــن قَتْلِه، ولم يَحْضُره هو، فـــأراد إصلاحَهم، فقال لهم: أنا قتلتُه، وعادتُهم إخراج القاتل من بينهم فيصطلحوا، فخرج لطنجة ...». ا.هـ.

ولمثل هذه المآثر وغيرها وصفه بعض من ترجمه بأنه: «صاحب الكرامات الكثيرة، والمناقب الشهيرة».

وفاته:

وقد ذكر وفاتَه الشـــيخُ أحمد زروق رحمه الله تعـــالى في «الكُنّاش»، فقال: «دخول سنة ســـبعين وثمانمائة: كنت في خدمة سيدي محمد بن عبد الله الشهير بالزيتوني، ...، فقدم علينا من تلامذة ســـيدي محمد الجزوليِّ جماعةٌ مع الصغير السفياني[١]، وصححوا عندنا موت الشيخ الجزولي.

قال الصغير: **مات في صـــلاة الصبح، إمّا في الســـجدة الثانية من الركعة الأولى، أو في السجدة الأولى من الركعة الثانية** »[٢]. ا.هـ.

---

(١) هو محمد الصغير، المعروف بالســـهيلي، أبو عبد الله، أحد العلماء الصالحين، ترجم له محمد مخلوف في «شـــجرة النور الزكية» (١/ ٣٩٨)، ومما قاله: « أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الجزولي وروى عنه دلائل الخـــيرات، وروايتُه أصحُّ الروايات، رواها عنه من لا يُعَدُّ كثرةً. توفي عن ســـن عالية جداً ســـنة ٩١٨ هـ»، وقد قال مخلوف قبل ذلك في ترجمة الشـــيخ الجزولي عن هذا الكتـــاب (١/ ٣٨١): «وعليه شروح كثيرة، وللدلائل المذكورة اختلافٌ في النســـخ لكثرة روايتها على المؤلف، والمُعتبَرُ نسخةُ أبي عبد الله الصغير المذكور» ا.هـ.

(٢) الكُنّاش، لسيدي أحمد زروق (ص ٢٤).

وقال التنبكتي في «نيل الابتهاج»: « وتوفي مسـمومًا في الركعة الأولى من صلاة الصبح، سادس ربيع الأول، عام سبعين وثمانمائة ».

وقد حصل اختلاف يسـير في سـنة وفاته، فأرّخها بعضُهم عام خمسـة وسبعين وثمانمائة، وقيل سنة تسعة وسـتين، ولكنهما قولان ضعيفان، وحقق المراكشي في «إظهار الكمال»[١] خطأ هذا القول، وأثبت بما لا يدع مجالا للشك أنه في سنة سبعين وثمانمائة، ولذا قال محمد مخلوف: «توفي على الأصح في ربيع الأول سـنة ٨٧٠»، وهو الموافق لما تقدم عن ابن القاضي المكناسي وغيرِه من العلماء.

وقـد حصلت بعد وفاته فتنةٌ كبيرةٌ في تلك البلاد، وُضعت بسـببها جُثة الشيخ في تابوت لمدة عشرين سنة، ثم دُفن بعد ذلك بآفغال -في بلاد السوس بالمغرب-، وبعد وفاته بأكثر من سـبعين سـنةً نُقل جسده إلى مراكش ودفن هناك[٢].

قال التنبكتي في «كفاية المحتاج»: «ولمّا نقل جسده بعد سبع وسبعين سنة وجدوه لم يتغير منه شيء».

---

(١) انظر (٢/ ٢٣-٢٤) وأفاد في (٢/ ٢٤) - نقلًا عن عبد العزيز التبّاع تلميذ الجزولي -: « أن الشيخ رضي الله عنه لم يترك ولداً ذكراً ».

(٢) وكانت تلك فتنة عمرو بن سليمان السياف، وللوقوف على ترجمته وأخبار تلك الفتنة يُنظر كتاب «الاسـتقصا لأخبـار دول المغرب الأقصى» لأحمـد الناصري الدرعي (٤/ ١٢٢-١٢٣)

وكذا نقل مؤرخُ المغرب الأقصى أحمدُ الناصريُّ عن أبي العباس الصومعي قصةَ نقلِ الشـــيخ الجزولي إلى مراكش، وأنه وجد طريا لم يتغير بعد وفاته بنحو سبعين سنة[١].

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

تنبيه:

يشـــتبه على بعض الباحثين محمدُ بنُ سليمان الجزولي صاحب هذه الترجمة برجل آخر موافق له في الاسم واسم الأب والنسبة إلى البلد والكُنية والطبقة، وهو محمدُ بنُ سليمان بن داود بن بشر بن أبي بكر الجمال، الجزولي المغربي المالكي، نزيل مكة، المولود بجزولة سنة ثمانمائة وستة، والمتوفى في ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثمانمائة، ودفن في المعلاة بمكة المكرمة، وكان فقيها بارعا[٢].

وقـــد نبَّه التنبكتيُّ على هـــذا من قِبلُ، فقال بعد ترجمتـــه للجزولي المكي: «وليس هذا مؤلف دلائل الخيرات، وإن توافقا اســـمًا واسم أب ونسبا وزمنا، وسيأتي قريباً»[٣].

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٤/ ١٢٣)، وانظر فيه سبب نقل جثة الشيخ رحمه الله تعالى من آفغال بسوس إلى مراكش (٥/ ١٥)

(٢) انظر ترجمته في: الضوء اللامع للســـخاوي (٧/ ٢٥٨)، والتحفـــة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للســـخاوي أيضا (٢/ ٤٨١)، وكفاية المحتاج للتنبكتي (ص ٤٢٤)، ونيل الابتهاج (ص ٥٣٨) له أيضًا.

(٣) كفاية المحتاج (ص ٤٢٤)، ونحوه في نيل الابتهاج (ص ٥٣٨)، وهذا هو المُسمى عند =

وممن وقع في هذا الوهم وظنهما رجلاً واحداً: خيرُ الدين الزركلي رحمه الله تعالى في كتابه الشهير «الأعلام»، فيُنتبَه لهذا، والله تعالى أعلم[1].

= المحدثين بـ«المتفق والمفترق» عندما يتفق في اللفظ والخط راويان أو عالمان في الاسم واسم الأب، أو الاسم والنسبة، وهكذا، وبعدم الخبرة فيه يقع الباحثُ أو العالم في الخطأ، حتى قال الحافظ ابن الصلاح رحمه الله تعالى في «معرفة علوم الحديث» (ص ٣٥٨): «وهذا من قبيل ما يسمى في أصول الفقه «المُشتَرَك»، وزلق بسببه غيرُ واحد من الأكابر، ولم يزل الاشتراك من مظان الغلط في كل علم» ا.هـ.

(١) انظر الأعلام للزركلي (٦/ ١٥١)، ثم رأيت الشيخ المؤرخ النسابة المدقق محمد بن عبد الله الرشيد قد أشار إلى هذا الوهم واستدرك على الزركلي، وذلك في كتابه «الإعلام بتصحيح الأعلام» (ص ١٣٠-١٣١).

عبد اللّه بن شيخ العيدروس

(...ـ ١٠١٩ هـ)

الإمام الكبير، الصالح القدوة الجليل، سليلُ الأماجد، ووالدُ الأكابر، وأستاذُ الشيوخ، وأحد الأعيان من علماء اليمن.

ترجم له غيرُ واحد من العلماء، وأسوق هنا -ببعض اختصارٍ- ترجمةَ المؤرخِ محمد أمين المُحِبّيِّ له، قال رحمه الله تعالى:

«عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس، المكنى بأبي محمد: الإمام الكبير، أستاذ الأساتذة، وخاتمة العلماء بقطر اليمن.

قال الشِّلِّي في ترجمته: ولد بمدينة تَرِيم في سنة خمس وأربعين وتسعِمائة، ونشأ بها، وحفظ القرآنَ، واعتنى بالطلب أتمَّ الاعتناء، ولزم والده[1]، وأخذ عنه كثيرًا من الفنون وهو شاب.

وأخذ الفقهَ عن الشيخِ شهابِ الدين أحمد بن عبد الرحمن، والشيخِ حسينِ بن عبد الله بن عبد الرحمن بَلْحاج، والشيخ الولي أحمد بن عبد الله بن عبد القوي.

---

(١) وكان والده من كبار العلماء أيضًا، ولد في مدينة تريم من حضرموت سنة ٩١٩ هـ، وتوفي سنة ٩٩٠ هـ في مدينة أحمد آباد من البلاد الهندية، وكان رحل إليها ودخلها سنة ٩٥٨هـ، وأقام بها إلى أن مات، رحمه الله تعالى.

ترجم له ابنه عبد القادر في «النور السافر عن أخبار القرن العاشر» (ص:٣٣٣)، وابنُ العماد الحنبلي في «شذرات الذهب (١٠/ ٦٢٠)، والزركلي في الأعلام (٣/ ١٨٢).

ثم ارتحل لوالده بأحمد آباد في سـنة سـت وستين وتسـعمائة، وأخذ عنه علومًا شتى، وأولُ كتابٍ قرأه عليه: كتابُ «الشفا».

وحجَّ، وأخذ بالحرمين عن جمعٍ كثير، ثم عاد إلى بلدةِ تريم، ونَصب نفسَه للنفع والإقراء، وقصده الناسُ من أقصى البلاد، وصار شيخَ البلاد الحضرمية، وألْحَقَ الأحفادَ بالأجدادِ.

وكان عالمًا متضلعًا، تفسيراً وحديثًا وأصولًا، وأخذ عنه خلقٌ لا يُحصَون، أكثرُهـم ممن بلغ فضلُه حدَّ التواتر، منهم أولاده الثلاثة: محمد وشـيخ وزين العابدين، وحفيده الشـيخ عبد الرحمن السـقاف بن محمد، والشيخ أبو بكر الشِّـلّي، والإمام عبد الله بن محمد بَرُوم، والشـيخ حسين بن عبد الله الغصن، وشـيخ الإسلام أبو بكر بن عبد الرحمن، وشـهاب الدين، والقاضي أحمد بن حسين بَلْفَقِيه، والشـيخ عبد الرحمن بن عَقِيل، والسيد أبو بكر بن علي خرد، والشيخ نزين، وحسين بَاْفَضْل، وغيرُهم ممن لا يُحصى.

وكان يجلس مـن أول الضحى إلى منتصف النهار، ومـدّ اللهُ تعالى له في عمره حتى انتفع به العلماءُ الكبارُ من كل قُطر.

وكان كريماً إلى الغاية، صاحبَ جاهٍ وشأنٍ، واتفق أهلُ عصره على إمامته وتقدُّمه، وكان له في القلوب هيبةٌ عظيمةٌ، مع حُسـن الخِلقة، وقَبولِ الصورة، ونـور الطاعةِ، وجلالةِ العباد، وحُسـنِ الخُلُق، وكان كثـيرَ الإنصات، دائمَ العبادة، وكان لا يخرج من بيته إلا لحضور جُمعة أو جماعة، أو لإجابة وليمة.

وله مآثر كثيرة بتريم، منها المسجدان المشهوران، أحدُهما في طريق تريم الشمالي، ويسمى مسجد الأبرار، والآخرُ في طرفها الجنوبي ويسمى مسجدَ النور، وبنى بقرب مسجد النور سبيلا يُملأ دائما، وغيرُ ذلك، وغرسَ نخيلا كثيرا ينتفع به كثيرون من الفقراء وأبناءِ السبيل، ومدحه كثيرٌ من الفضلاء بقصائد طَنّانةٍ.

وفاته:

وبالجملةُ، فهو عالمُ ذلك القُطر وإمامُه، وكانت وفاتُه يوم الخميس، خامس عشر ذي القعدة، سنة تسع عشرة وألف، **وهو ساجد، في صلاة العصر**، بعد تَوَعّكٍ قليلٍ.

وارتجّت لموته البلادُ، وحضر لتشييعه خلائقُ لا يُحصَون، وصلَّوا عليه عشية يوم الجمعة، صلى عليه إمامًا ولُده الشيخُ زينُ العابدين، وحضر السلطانُ وأتباعُه للصلاةِ عليه»[١]. انتهى مختُصَرًا.

رحمه الله تعالى.

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/ ٤٩-٥٠).

الشيخ عبد اللّه صوفان القَدُّومي الحنبلي

(١٢٤٧ ـ ١٣٣١هـ)

الشيخ المحدث الفقيه الحنبلي الأثري، النابلسي، ترجم له تلميذُه العلامة السيد محمد عبد الحي الكتاني[1]، وذكر مكانتَه وأخبارَه، وشيوخَه، وأسانيدَه، وأسوق هنا ترجمته منه، قال رحمه الله تعالى:

«القدومي: هو شيخُنا، عالمُ الحنابلةِ بالحجاز والشام وإمامُهم، الشيخُ عبدُ الله صوفان بن عودة بن عبد الله بن الشيخ عيسى بن الحاج سلامة، القَدُّوميّ، النابلسي، الحنبلي الأثري مذهبًا، المدنيّ جِوارًا، الإمامُ المُعمّر، الفقيهُ، المحدثُ، الصالحُ الناسكُ العابدُ الخاشع.

أعلمُ مَن لقيناه من الحنابلة، وأشدُّهم تمسّكا بتعاليم السلف، والاعتناءِ بحفظ الأحاديث واستحضارِها بألفاظها، مع الانقطاعِ إلى الله، والإكبابِ على العلم والعمل به.

ولد بقرية كَفر القَدُّوم من أعمال نابلس، سنة ١٢٤٧هـ، وبها نشأ، وشبَّ على الطاعة والرغبةِ في العلم، ثم رحل إلى دمشق، وبها حصّل، ثم رجع إلى وطنه مملوءَ الوِطاب علمًا وعملاً، وسكن نابلس، وانقطع لبثِّ العلمِ إلى أن هاجر للمدينة عام ١٣١٨هـ، وأقام بها مدةً مديدةً عمّ فيها الأقطارَ عطرُه، وأخذ عنه الرحالون، ثم رجع إلى بلده، **وبها مات عام ١٣٣١ وهو ساجد**.

(١) فهرس الفهارس (٢/ ٩٣٩-٩٤١)، وله ترجمة في «الأعلام» للزركلي (٤/ ١١١).

له رحلة صغيرة سماها «الرحلة الحجازية، والرياض الأُنسية، في الحوادث والمسائل العلمية»، ملأها فوائد، وساق فيها مباحثةً جرت لي معه، وله جزء صغير في أسانيده للصحيح سمعناه عليه بمكة، وله من التصانيف أيضاً: «المنهجُ الأحمدُ في دَرْء المثالب التي تُنمَى لمذهب أحمد»، و«هداية الراغب» مُرَتّبٌ ترتيبَ أبواب البخاري، وغيرُهما.

وعمدتُه في العلم والرواية: الشيخ حسن بن عمر الشطي الدمشقي، إمامُ الطائفة الحنبلية بالشام، لازمه بدمشق سنين، ...

نروي عن القدومي المذكورِ كلَّ ما له من مَرويٍّ وإفادة، إجازةً مُكاتبةً من المدينة لفاس، ثم شفاهًا بمكة بعد أن سمعتُ عليه كثيرًا من ثلاثيات مسند أحمد ورباعياته». انتهى باختصار يسير.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

عين القضاة الحيدر آبادي اللّكْنويّ

(١٢٧٤ ـ ١٣٤٣هـ)

العالم الصالح الفقيه، من علماء القارة الهندية، وأحد الأجواد الأسخياء، والمدرسين الفضلاء، خادمُ القرآن الكريم، تخرّج في العلوم على العلامة عبد الحي اللّكْنويّ صاحب المصنفات الشهيرة، ثم تصدر للتدريس والإفادة مدة يسيرة، وبنى مدرسة خرّجت جمعًا من القراء والمدرسين في علوم القرآن والتجويد.

ترجم له العلامة المؤرخ الهندي عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت ١٣٤١هـ) في كتابه الماتع «نزهة الخواطر»[١]، فآخذ ترجمته منه على اختصار وتصرف يسير.

قال المؤرخ الهندي رحمه الله تعالى:

«الشيخ الفاضل، عين القضاة بن محمد وزير بن محمد جعفر الحسيني، الحنفي، الحيدر آبادي، ثم اللكهنوي، أحد الأفاضل المشهورين.

وُلد بحيدر آباد عاصمةِ بلادِ الدَّكَن، سنة أربع وسبعين ومائتين وألف - كما أخبرني بها والدُه -، واشتغل بالعلم أياماً في بلدته، ثم قدم لَكْهنُؤ[٢]، وقرأ بعض الكتب الدَّرْسِيَّة على تلامذة العلامة عبد الحي بن عبد الحليم

(١) «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٨/ ١٣١٦-١٣١٧).

(٢) من غير نُطقٍ للهاء ولا للهمزة في آخره، فهي بفتح اللام، وسكون الكاف، وضم النون، وآخره واو.

اللكهنوي[١]، ثم تتلمذ عليه، ولازمه، وقرأ عليه سائر الكتب الدَّرْسِيَّة[٢]، وبرز في العلوم الحِكَمِيَّة، وصنّف حاشيةً بسيطةً على شرح «هداية الحكمة» للمَيْبُذِي، ودرّس زماناً قليلاً بلكهنؤ، ثم سار إلى بلدة سورت، ثم قدم لكهنؤ وأقام بدار شيخه عبد الحي المذكور، على جسر فَرَنْكِي مَحَل، ومعه والده، وعكف على الدرس والإفادة، لا يراه أحد إلا في بيته أو في المسجد.

وبعد مدة طويلة سافر إلى الحرمين الشريفين، وأقام بهما سنتين، ثم قدم لكهنؤ وبنى له والده داراً ببلدة لكهنؤ، وهو لم يتزوج ولا تسرّى[٣]، ووالده كان يقوم بمصالحه مدةَ حياته، وهو صاحب بِرٍّ ومواساة لأصحابه، وسعيٍ في مصالحهم.

وملبوسُه كآحاد الفقهاء، وهو ربعُ القامة، نقيُّ اللون، محلوقُ الرأس، طويلُ اللحية، يصلي مع الناس في المسجد ولكنه لا يؤمُّهم.

---

(١) هو العلامة الكبير، والفاضل النحرير: محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم بن أمين الله الأنصاري اللكهنوي، صاحب المصنفات الشهيرة في مختلف العلوم، منها في علم الحديث: «التعليق الممجد على موطأ محمد»، و«الرفع والتكميل في الجرح والتعديل»، و«ظفر الأماني في شرح مختصر الشريف الجرجاني»، وغيرها، ولد سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ عن أربعين سنة، انظر ترجمته في «نزهة الخواطر» (٨/ ١٢٦٨-١٢٧٠)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٨٧).

(٢) أي الكتب المعتمدة في التدريس عند علماء ذلك القُطر في سائر العلوم العقلية والنقلية.

(٣) وبهذا يدخل ضمن قائمة «العلماء العزاب»، وتقدم (ص ١٥٦) في ترجمة الحافظ ابن المُظَفّر (ت٧٥٨هـ)، وفي التعليق (ص ١٠٠) عند ذكر أبي هارون الأندلسي، أن العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ت١٤١٧هـ) رحمه الله تعالى قد صنّف في جمعِهم وترجمتِهم كتابًا، ولكنه لم يذكر فيه صاحبَنا هذا عينَ القضاة اللكنوي، فيُزاد عليه، مع العلم أن الشيخَ لم يَدَّع الاستقصاء في كتابه.

وفي ســـنة ســـبع وعشرين وثلاثمائة وألف ســـافر مع والده إلى الحرمين الشريفين مرة ثانية، فحج وزار.

ورجع إلى بلدة لكهنؤ، وأســـس والدُه المدرسةَ الفُرقانية لتدريس القرآن وتعليـــم القـــراءة والتجويد، وأوقف عليهـــا عُروضه وعَقارَه، ومات ســـنة ١٣٣١ هـ، فقام مقامَه ولُده السعيدُ الرشـــيدُ يحمل أعباءَ المدرسة، وزاد فيها بمقدار كثير، وبنى العمارات العالية للمدرســـة، ورتب الأســـاتذة، ووظف الطلبة، حتـــى بلغت مصارفه نحو ثلاثة آلافٍ شـــهريةً، وهو فقير لا مال له! ولا يأخـــذ عن أحد درهماً ولا ديناراً، والله أعلم من أين يصل إليه المالُ الخطير للمدرســـةِ وللإعطاءِ كلَّ يومٍ صباحاً ومســـاءً لكل من يفِـــد عليه من العرب والعجم، فإنه في إنفاق المال كالريح المرسلة.

وقد نفع الله بهذه المدرســـة نفعـــاً كبيراً، وتخرج منها مئـــاتٌ من الحفاظ والقراء المُجَوّديـــن، وانتشروا في الهند وما جاورها مـــن البلاد، ونشروا علم القراءة والتجويد، وخَرَّجُوا ». انتهى.

وفاته:

ذكر عبد الحي أنه تُوُفي ســـاجداً في الثاني من رجب، سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

ومن النساء العالمات:

عاتِكة بنت الحافظ أبي العلاء العطار

(... ـ ٦٠٩هـ)

الشـيخة الصالحة المُحدّثة، عاتكةُ بنتُ الحافظِ أبي العلاء الحسن بن أحمد ابن الحسن بن أحمد الحنبليِّ الهمَذانيِّ العطارِ.

كان أبوها من كبـار العلماء في القراءات والحديـث، فقيها حنبليًّا ورعًا زاهـدًا، مُوقَّرًا عند الموافق والمخالف، عظيمَ الشـأن في قلوب الناس ومحبوبًا عندهـم، «حتى إنّه كان يمرّ في همَذان فلا يبقى أحدٌ رآه إلَّا قام ودعا له، حتى الصبيان واليهود»![1]

وله رحلات في طلب العلم، وكان حريصًا كذلك على تعليم أبنائه ذكورًا وإناثاً وبلوغِهم مصافَّ العلماء، وامتد حرصه لأحفاده أيضًا، فكلهم تعلم على يديه، ورحل بهم معه إلى البلدان لسماع الحديث والعلم.

ذكره أَبُو سـعد السَّـمعانيّ فقال: «حافظٌ متقِن، ومقرئٌ فاضل، حَسَنُ السّـيرة، جميلُ الأمرِ، مرضي الطريقة، عزيز النفس، سـخي بما يملكه، مُكرم للغرباء، يعرف الحديث والقراءات والأدب معرفةً حَسَنَة»، وكان على أحسن سيرة إلى أن توفي سنة ٥٦٩ هـ رحمه الله تعالى[2].

---

(١) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لابن نقطة (ص ٢٤١).

(٢) انظـر بعض ترجمتـه الحافلة في: «التقييد لمعرفة رواة السـنن والمسـانيد» لابن نقطة (ص٢٣٩ ومـا بعدها)، «تاريخ الإسـلام» للذهبي (١٢/ ٤٠٣)، و«سـير أعلام النبلاء» له (٢١/ ٤٠).

فنشــأت عاتكة على هذه النشــأة الكريمة في بيت العلم والصلاح، حتى غدت من علماء زمانها، تبُثّ العلمَ وتنشر السُــنّةَ، يأتيهــا المحدثون والعلماء ليسمعوا منها حديث النبي ﷺ ومصنفات الأئمة.

قــال ابن نقطة الحنبلي البغــدادي رحمه الله تعالى: «ســمِعَتْ من أبي بكر هبة الله بن الفرج ابن أخت الطويل كتابَ «الســنن» لأبي داود السجســتانيِّ، وأمّا كتاب «مــكارم الأخلاق» لأبي بكر بن لال فحدثني إســحاق بن محمد بــن المؤيد الهمذاني أنه رأى ســماعَها في جميعه، ...، حدثــت عاتكةُ بالكتاب - أعني «السنن» - جميعَه ببغداد، وروت أيضا عن أبي المحاسن نصر بن المُظفر البرمكي، وعبدِ الأول السِّجزي، وعمر بن أحمد الصفار النيسابوري»[1].

وقــال الحافظ الذهبي رحمه الله تعــالى: «وروت الكثير بهمَذان وبغداد، وقدِمت على ولدها القاضي علي بن عبد الرشيد قاضي الجانب الغربي ببغداد، وكان سماعُها صحيحًا، وهي شيخة صالحة»[2].

وكما نشــأتْ عاتكةُ ابنةً صالحةً طالبة للعلم، فإنها ربّت أولادَها على هذا الأمر حتى غدَوْا علماءَ محدثين قضاةً، فابنُها أبو بكر عبد الحميد بن عبد الرشيد ابن علي (ت٦٣٧هـ) كان قاضياً ببغداد ومحدِّثاً صالحاً ورعاً زاهداً[3]، وابنُها

---

(١) «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» (ص: ٥٠٠).

(٢) تاريخ الإسلام (١٣/ ٢١٥).

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (١٤/ ٢٤١)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٦٦)

الآخرُ أبو الحسن علي بن عبد الرشيد بن علي (ت٦٢١هـ) تولى القضاء بهمذان وبغـــداد، وكان مقرئاً محدِّثاً [(١)]، وكلاهما ســـمع في الصغر من جدّهما الحافظ أبي العلاء العطار.

وفاتُها:

قدمت بغداد مع ابنها القاضي أبي الحســـن علي بن عبد الرشيد الهمَذاني، فســـكنت بها إلى أن ماتت، وقد تُوفيت فجأةً ليلة الأحد حادي عشرين رجب من سنة تسع وستمائة ببغداد، **وهي ساجدة**، رحمها الله تعالى[(٢)].

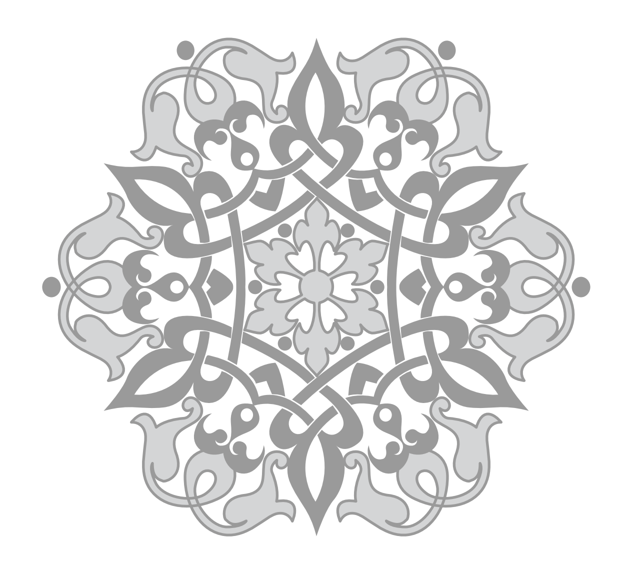
(١) ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (١٣/ ٦٧٥).

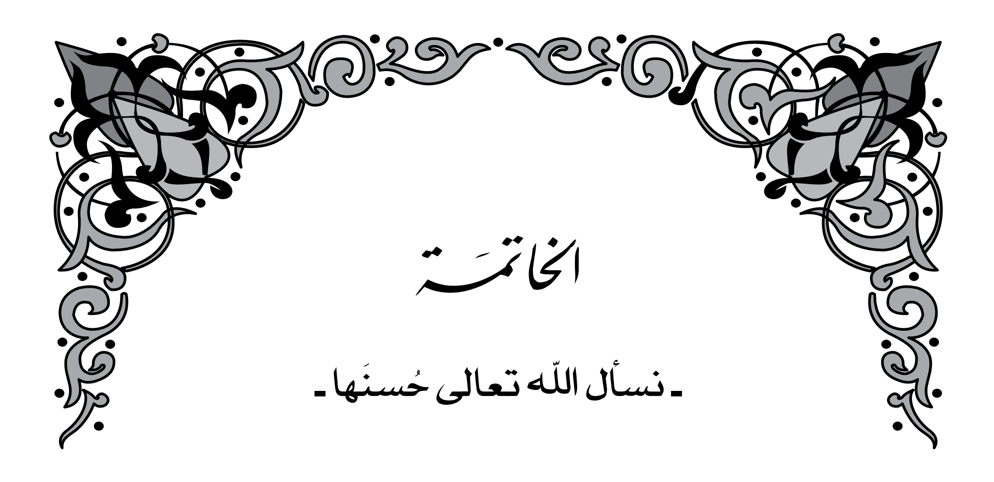
(٢) انظر التقييد لمعرفة رواة الســـنن والمســـانيد (ص ٥٠٠)، وتاريخ الإســـلام للذهبي (١٣/ ٢١٥).



الخاتمة

ـ نسأل اللّه تعالى حُسنَها ـ





الخاتمة

ـ نسأل الله تعالى حُسنَها ـ

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على ما تفضل به من إتمام هذا الكتاب، وصلاةً وسلامًا على عبده وحبيبه وأشرف رسله، ومن سوّده على خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

وبعد هذا التطواف مع العلماء الساجدين، أوصي بمتابعة الكتابة والبحث في سِير العلماء الذين تجمعهم صفة معينة، وتقديمهم للمجتمع لينهلوا من معين حياتهم، وينتفعوا من علومهم، ومن هذه الأبحاث والدارسات التي نوصي بها في هذا المجال:

- تراجم العلماء الذين توفوا في الصلاة.

- تراجم علماء الشريعة من ذوي الاكتشافات العلمية والاختراعات.

- تراجم العلماء الذين كان لهم دَور في تحقيق السِّلم المجتمعي ووأد الفتن وتنمية الأوطان.

- العلماء من ذوي الاحتياجات الخاصة.

ونحوها من تراجم العلماء والدراسات التي ترفع همة المجتمعات، وتُعرّف بجوانب مضيئة من حياة علمائنا غابت عن أكثر أهل العصر.

وفي ختام هذه المواعظ الصادقة من سِير أولئك الساجدين، والعلماء العاملين، نسأل الله تعالى أن يُعيننا على ذكره وشكره وحُسن عبادته، وأن يتقبّلنا ويُقبِل علينا بمحض منّه وفضله وكرمه وجوده، وأن يجعلنا في زمرة ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر:١٨].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢].





قائمة المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٢- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، للصيمري (ت٤٣٦هـ)، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣- أخبار القضاة، لأبي بكر الضّبّيّ المُلقب بـ(وكيع) (ت٣٠٦هـ)، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

٤- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد الناصري، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.

٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، تحقيق على محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦- أَسَد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

* الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر.

٨- إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال، لعباس بن إبراهيم السملالي التعارجي المراكشي، تحقيق إدريس الشرواطي، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٩- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شداد (ت ٦٨٤ هـ).

١٠- الأعلام، لخير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

١١- الإعلام بتصحيح الأعلام، محمد بن عبد الله الرشيد، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢- أعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق علي أبو زيد وآخرين، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٣- إكمال الإكمال، لمعين الدين ابن نقطة الحنبلي (ت٦٢٩هـ)، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.

١٤- إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، تحقيق يحيى إسماعيل، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لمغلطاي (ت٧٦٢هـ)، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، ط١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٦- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، لابن عبد البر القرطبي(ت٤٦٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

١٧- الأنساب، لأبي سعد السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني وغيرُه، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

١٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأحمد ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق أحمد عبد الله القرشي، نشره د. حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١٩- البخلاء، لأبي عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٠- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الله التركي، ط١، دار هجر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢١- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأبي جعفر الضَّبِّيّ (ت٥٩٩هـ)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢٢- بيـان خطأ البخاري، لابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن.

٢٣- تاج التراجم، لقاسـم بن قُطلوبغا (ت٨٧٩هـ)، تحقيـق محمد خير رمضان يوسف، ط١، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٢٤- تاج العروس من جواهر القامـوس، للمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

٢٥- تاريخ أصبهان، لأبي نعيم (ت٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشـاهير والأعلام، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢٧- التاريخ الأوسط (المطبوع باسم التاريخ الصغير)، للإمام البخاري (ت٢٥٦هـ)،

تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الوعي، حلب، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

* التاريخ الصغير للبخاري، انظر: التاريخ الأوسط.

٢٨- التاريخ الكبير للإمام البخاري (ت٢٥٦هـ)، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن.

٢٩- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٠- تاريخ داريا، لعبد الجبار الخولاني (ابن مهنا) (ت٣٧٠هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة البرقي، دمشق، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

٣١- تاريخ دمشق، للحافظ ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٢- تاريخ قضاة الأندلس (ويسمى أيضًا: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، لأبي الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت نحو٧٩٢هـ)، ط٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٣- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٤- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، للحافظ ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٣٥- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للحافظ السخاوي (ت٩٠٢هـ)، ط١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٦- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، تحقيق ابن تاويت الطنجي وآخرون، ط١، مكتبة فضالة، المغرب، ١٩٦٦م وبعدها.

٣٧- تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة،ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٨- التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار البلنسي (ت٦٥٨هـ)، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٩- تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، ط١، دائرة المعارف النظامية بالهند، ١٣٢٦هـ.

٤٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤١- الثقات، للإمام ابن حبان (ت٣٥٤هـ)، ط١، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٤٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، للحافظ ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٤٣- جذوة الاقتباس في ذكر مَن حَلَّ مِن الأعلام مدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي، تحقيق ونشر: دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

٤٤- الجرح والتعديل، للحافظ ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.

٤٥- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر القرشي الحنفي (ت٧٧٥هـ)، نشر: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

٤٦- حاشية ابن الشاط على الفروق للقرافي (إدرار الشروق على أنوار الفروق)، لقاسم بن عبد الله المعروف بابن الشاط (ت٧٢٣هـ)، مطبوع على حاشية

الفروق، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٤٧- حاشية الصاوي على الشرح الصغير للدردير (بلغة السالك لأقرب المسالك)، لأحمد الخلوتي الصاوي المالكي (ت١٢٤١هـ)، دار المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

٤٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نُعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، طبعة مكتبة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤٩- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين المُحِبّي الحموي (ت١١١١هـ)، دار صادر، بيروت.

٥٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٥١- درة الحجال في أسماء الرجال، لأحمد ابن القاضي المكناسي، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، الطبعة الأولى، مكتبة دار التراث - القاهرة، والمكتبة العتيقة - تونس، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٥٢- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون اليعمري المالكي (ت٧٩٩هـ)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

٥٣- الذخيرة، للإمام القرافي المالكي (ت٦٨٤هـ)، تحقيق محمد حجي وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

٥٤- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لتقي الدين المكي الفاسي (ت٨٣٢هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٥٥- ذيل طبقات الحنابلة، للحافظ ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٥٦- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، لأبي بكر محمد بن عبد الله المالكي، تحقيق بشير البكوش، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥٧- سراج الملوك، للطرطوشي (ت٥٢٠هـ)، طبعة قديمة تاريخ نشرها ١٢٨٩هـ- ١٨٧٢م.

٥٨- سنن أبي داود، للإمام أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، دار الرسالة العالمية، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٥٩- سنن ابن ماجه، للإمام ابن ماجه القزويني (٢٧٣هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، دار الرسالة العالمية، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦٠- السنن النسائي الصغرى، للإمام النسائي (ت٣٠٣هـ)، باعتناء عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦١- سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٦٢- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف (ت١٣٦٠هـ)، بتعليق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٤- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين

الطيبي (ت٧٤٣هـ)، تحقيق عبد الحميد هنـداوي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦٥- الشرح الكبير على مختـصر خليل، للإمام الدردير (ت١٢٠١هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٦٦- شرح النووي على مسـلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، للإمام النووي (ت٦٧٦هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٦٧- شرح صحيح البخاري، لابن بطال المالكـي (ت٤٤٩هـ)، تحقيق «أبو تميم» ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٦٨- شرح مختصر خليل، للخرشي (ت١١٠١هـ)، دار الفكر للطباعة، بيروت، بدون تاريخ.

٦٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بُلبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، للإمام ابن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٠- صحيـح البخـاري (الجامع الصحيح المسـند المختصر)، للإمـام البخاري (ت٢٥٦هـ)، بـإشراف محمد زهير بن ناصر النـاصر، ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن النسخة السلطانية)، ١٤٢٢هـ.

٧١- صحيح مسـلم (المسـند الصحيح المختصر)، للإمام مسـلم بـن الحجاج النيسـابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقـي، دار إحياء التراث، بيروت.

٧٢- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لأبي القاسم ابن بشكوال (ت٥٧٨هـ)، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٧٣- الضعفاء الكبير، للعقيلي (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧٤- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للحافظ السخاوي (ت٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٧٥- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، لكمال الدين الأدفوي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

٧٦- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى الحنبلي (ت٥٢٦هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٧٧- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٨- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٧٩- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق عبد الغفور عبد الحق البلوشي، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨٠- العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨١- غاية النهاية في طبقات القراء، للإمام شمس الدين ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية.

٨٢- فتح الباري بشرح البخاري، للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، تصحيح محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٨٣- فتح القدير، للكمال ابن الهُمام الحنفي (ت٨٦١هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٨٤- الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، للإمام القرافي المالكي (ت٦٨٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٨٥- فهرس الفهارس والأثبات، لمحمد عبد الحي الكتاني (ت١٣٨٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

٨٦- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد النفراوي المالكي (ت١١٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨٧- فيض القدير بشرح الجامع الصغير، للمُناوي (ت١٠٣١هـ)، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

٨٨- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، أشرف على تحقيقه محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❋ الكاشف عن حقائق السنن، انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح.

٨٩- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٩٠- الكامل في التاريخ، لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٩١- الكامل في ضعفاء الرجال، للحافظ ابن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩٢- كفاية المحتــاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق عبد الله الكندري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٩٣- الكناش، للشــيخ أحمد زروق، تحقيق د. علي فهمي خشــيم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا - مصراته، ١٩٨٠م.

٩٤- لسان العرب، لابن منظور (ت٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٩٥- لســان الميزان، للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـــ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢م.

* المجتبى من السنن، انظر: سنن النسائي الصغرى.

٩٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حســام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٩٧- المحتضرين، لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير رمضان يوســف، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

* المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، انظر: تاريخ قضاة الأندلس.

٩٨- المسند للإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٩٩- مشــاهير علماء الأمصار وأعلام فقهــاء الأقطار، للإمام ابن حبان البســتي (ت٣٥٤هـــ)، تحقيق مرزوق علي إبراهيــم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٠- المطرب من أشــعار أهل المغرب، لعمر بن حُسين الشهير بابن دحية الكلبي (ت٦٣٣هـ)، تحقيق إبراهيــم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع، بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

١٠١- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الدَّبّاغ، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، الطبعة الثانية، المكتبة العتيقة، تونس، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٠٢- معجم البلدان، لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٠٣- معجم السفر، لأبي طاهر السِّلفي (ت٥٧٦هـ)، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

١٠٤- معجم الشيوخ الكبير، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠٥- معجم الشيوخ، لتاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٠٦- المعجم الكبير، للطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٠٧- المعجم المختص بالمحدثين، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠٨- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠٩- معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، للحافظ ابن الصلاح الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١٠- المغازي، لمحمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١١١- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، لبدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١١٢- مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.

* مقدمة ابن الصلاح، انظر: معرفة أنواع علوم الحديث.

١١٣- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١١٤- منح الجليل شرح مختصر خليل، لمحمد عليش المالكي (ت١٢٩٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١١٥- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب الرعيني المالكي (ت٩٥٤هـ)، ط٣، دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١١٦- المؤتلف والمختلف، للإمام الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق موفق بن عبد الله ابن عبد القادر، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١٧- موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، مجموعة من المؤلفين، أصدرتها المنظمة العربية للتنمية الإدارية - جامعة الدول العربية، القاهرة - مصر، الشارقة - دولة الإمارات، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١١٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

١١٩- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (ويُسمى: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)، لعبد الحي الحسني الطالبي (ت١٣٤١هـ)، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢٠- نَكت الهِمْيان في نُكت العميان، لصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٢١- نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري (ت٧٣٣هـ)، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

١٢٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٣- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ العيدروس (ت١٠٣٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٢٤- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية بليبيا، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

١٢٥- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٢٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

مُحتويَات الكِتابْ